الكياسة في السنة النبوية
دراسة في ضوء فقه الحديث

إعداد : د. عبد الرحمن محمد سراج
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين
جامعة أم درمان الإسلامية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على قضية من القضايا المهمة وهي فهم السنة النبوية، وأثره الكبير في تيسير تعلمها، والعمل بها ذلك أن حسن الفهم للحديث الشريف كان أساس عز الأمة الإسلامية خلال قرونها المفضلة، وبالمقابل فسوء الفهم هو الذي جر عليها -بعد ذلك- الويلات والفتن، والتفرق والتمزق وتكالب الأعداء وما ذاع الباطل إلا بخفوت صوت الحق، ولو أن أهل الحق أحسنوا عرض السنة النبوية وفق مفهومها الصحيح الذي لا تعارض بينه وبين الفطر السليمة، والعقول الصحيحة – لوجدنا الكثير ينقاد لهذه السنة، ولهدايتها، ولتسارع الناس إلى تعلمها والعمل بها، ولا يردها حينذاك إلا مكابر معاند.

بل إن كثيراً من الناس- ممن زهدوا ويزهدون في السنة النبوية الشريفة – ويزعمون الاكتفاء بما في القرآن -إنما ذلك بسبب جهلهم بحقيقة السنة النبوية، وبمفهومها الصحيح.

ويهدف البحث أيضاً إلى دفع التهمة عن أهل الحديث ونقاده، بأنهم لا يحسنون إلا نقل الأخبار وتصحيحها أو تضعيفها، ولا شك أن الفهم الصحيح للسنة النبوية، هو ما فهمه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم توارثه عنهم تابعوهم، فعنهم أئمة الحديث والفقه.

ولذلك تناول البحث بإيجاز – عناية المحدثين بفقه الحديث، وأشار البحث إلى أن الموضوعية في فقه الحديث النبوي، هي فهمه كما هو، لا كما يريده الباحث، أو كما هو مذهبه ومعتقده.

وأشار البحث إلى أن علماء الحديث كان جل همهم ، وأساس علمهم التفقه في معاني الأحاديث كما هي، وكما فهمها السلف الأولون، ولذلك كان موضوع هذا البحث: الكياسة في السنة النبوية، دراسة في ضوء فقه الحديث، عرضنا من خلاله لمجموعة كبيرة من أحاديث المصطفى ﷺ - قصدنا من خلالها إلى تقريب المعاني وتوسيع الإفهام لكلام سيد الأنام والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وخدمه لسنة سيد المرسلين، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أبان الطريق ، وأوضح المحجَّة، وأَرسل رسله مبشرين ومنذرين لَئلا يكون للناس على الله حجة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، كَسَاهُ من حُلَلِ النبوة ما زاده مهابة وبهجة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأَصحابه، الذين فدوه بكلِّ نفسٍ وَمُهْجَةٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد

فإن الإسلام ربى أتباعه على خير السجايا، وأحسن الخصال، وأفضل الأخلاق، وأنبل الشمائل، ويترقب من كل متبع له أن يكون ذا نفسٍ عزيزة ، وقلب حي، وضمير يقظ ، تصان به الحقوق، وتحرس به الأعمال، وتحفظ به المسئوليات،

ربى الإسلام أتباعه على المنهج السوي، وعلى الإيمان القوي، أمر الفرد والجماعة، وسما بعقولهم، وحفظ فطرهم، وصان قلوبهم وأفكارهم، فابتعد بالأمة عن الظنون، والخيالات، والأوهام والخرافات، التي تعبث بالعقول وتفسد القلوب.

دعا أتباعه إلى اليقظة، والإحساس بالمسئولية، وتحمل تبعاتها، والتغلب على الصعاب من غير يأس، والأخذ بالأسباب، وحذر من الغفلة ، والضعف والتواكل، الأمر الذي يجسد المسئولية أمام حماة السنة، وحراس الملة لِيَهُبُّوا من رقدتهم، ويُفيقُوا من سُبَاتهم ، ويذبوا عن سنة حبيبهم ﷺ ، فَيَتَعَلَّمُوها ويَعْمَلُوا بها، وَيُعَلِّموها ويدعوا إليها على بصيرة ، ويجاهدوا في سبيل بيانها، وَيُنَافِحُوا عنها، حتى يكون الناس على بينة في أمورهم ، يقول الإمام يحيى بن يحيى النيسابوري، شيخ البخاري ومسلم – رحمهم الله - " الذَّبُ عن السُّنَّةِ أفضل من الجهاد" [1] ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - " المتَّبعُ للسنة كالقابضِ على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله" [2]

إن حقاً علينا جميعاً أن نهتمَّ غاية الاهتمام بإحياء السنن، وأن يتعاون الجميع على ذلك، لأن حاجة الأمة إلى معرفة سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، والاقتباس من مشكاة النبوة، فوق كلِ حاجة، بل إن ضرورتها إلى ذاك فوق كل ضرورة، فكل من يرجوا الله واليوم الآخر، يجعل الرسول ﷺ قدوته، والمصطفى ﷺ أسوته، كما قال عزو جل : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب

وأهلُ الإيمان الحق يستمدون من الهدي النبوي كل أمورهم، لأن الله تبارك وتعالى قال: {...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (٥٢) سورة الشورى، وقال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (٣ - ٤) سورة النجم ، فلا تستوي الأمور، وتستقيم السبيلُ إلا بذلك، فبهديه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يهتدون ، وعلى ضوء سنته يسيرون، ومن معين نبوته يرتوون وَلأعلام هدايته يحملون، وتحت لوائها ينضوون،

ولما كانت السنة النبوية تمتاز بخاصية لا تكاد تجدها في كلام سائر البشر ـ إلا في النذر اليسير جداً من أعاظم الحكماء، يتاح لأحدهم ـ الفينة بعد الفينة، ولكنها في كلام المصطفى ﷺ ، روح سارية ، لا يعتريها ضعف ولا وهن ـ تلك الخاصية ـ هي جمع المعاني المتفرقة التي تربطها روح واحدة، تكون هي المقصد الأساسي فيها.[٣]

لذلك كان ﷺ مختصاً بجوامع الكلم، وقد قال في حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم " بعثت بجوامع الكلم " [٤] وفي رواية لهما " أعطيت مفاتيح الكلم "، فقلما تظفر بحديث من الأحاديث إلا وتجد فيه من الروعة والجلال واستيفاء المعنى المسوق له، ما يملأ نفسك إكباراً وإعظاماً.[٥]

فقد كان النبي ﷺ لا يتهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة، من غير لبس ولا تمويه، فاختيار الكلمة أدق من السحر وأهول من البحر، وأعجب من الشعر، فكل كلمة في الأسلوب النبوي كاللبنة في البناء، لا يصلح غيرها في موضعها، لأن لكل كلمة دلالة خاصة، وإيحاء خاصاً ، وانسجاماً في التركيب، يضع الكلمة - المعبرة عن المواقف والأحداث والمصورة لخلجات النفس وخطرات

الضمائر، أصدق تصوير - في موضعها ، وكما أن أسلوب الحديث يدقق في اختيار كلماته، فإنه يختار الكلمات المصورة لمعناها أكمل تصوير.[٦]، وبهذه الطريقة التصويرية - التي هي سمة من سمات البلاغة النبوية - تنقل المعاني المجردة من ظلالها الجميلة إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذاً من منافذها الكثيرة إلى النفس [٧] ، فالنبي ﷺ لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق، لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامهﷺ [٨]

لذا فإن حسن الفهم للحديث الشريف كان أساس عز الأمة خلال قرونها المفضلة وبالمقابل، فسوء الفهم هو الذي جر عليها بعد ذلك الويلات والفتن والتفرق والتمزق، وتكالب الأعداء، يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - : " ينبغي أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده، ومن غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدي والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك ، والعدول عنه، من الضلال والعدول عن الصواب ، ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة، وضلالة ، نشأت في الإسلام ، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ... وهل أوقع القدرية، والمرجئة والخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والرافضة، وسائر طوائف أهل البدع، إلا سوء الفهم عن الله ، ورسوله ﷺ، حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس، هو موجب هذه الأفهام!!، والذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم، عن الله ورسوله ﷺ فمهجورٌ لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأساً ".[٩] قلت للتعريف بهذه الفرق أنظر هامش رقم (٩)

وهذا كلام عظيم، وتأصيل بديع، من مثل هذا الإمام - رحمه الله - يجلي حقيقة هذا الدين، وحقيقة السنة النبوية، وأنه لا سبيل إلى حسن فهمها، وفهم مقاصدها، وهدايتها، إلا بلزوم فهم الصحابة، والتابعين لهم بإحسان،

ولما كان لفهم السنة النبوية الشريفة أثره الكبير في تيسير تعلمها والعمل بها، ودعوة الأمة للرجوع إليها وإلى هدايتها، كان موضوع بحثنا هذا بعنوان:

الكياسة في السنة النبوية دراسة في ضوء فقه الحديث

نقدم فيه قطوفاً من الثمر الجني الطيب، اقتطفتها من رياض السنة، أتقدم بها للقارئ برهاناً على الحاجة الماسة لفقه الحديث، ودفعاً للتهمة التي يلصقها البعض بأهل الحديث ونقاده - بأنهم لا يحسنون إلا نقل الأخبار، وتصحيحها أو تضعيفها، أما أن يكون لهم فقه وفهم فلا؛ وإن كان، فهو فهم سطحي بعيد عن روح الشريعة ومقاصدها ...فلا علم عندهم بعلل الأحاديث التشريعية، ولا بمقاصد الدين وأصوله العامة[١٠].

ولما كانت طبيعة هذه البحوث أنها مختصرة ولا تتحمل التفصيلات الدقيقة فقد جعلت خطة البحث تتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة هذا والله من وراء القصد.

(المبحث الأول)

عناية المحدثين بفقه الحديث

فقه الحديث قسم من أقسام علوم الحديث يقول أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: " النوع العشرون من هذا العلم: معرفة فقه الحديث ، إذ هو ثمرة هذه العلوم وبه قوام الشريعة ...إلى أن قال : ونحن ذاكرون بمشيئة الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله ، ليستدل بذلك على أن أهل هذه الصنعة من تبحر فيها، لا يجهل فقه الحديث إذ هو نوع من أنواع هذا العلم. [١١]

وروى الرامَهُرْمُزي عن البخاري قال: " سمعت علي بن المديني يقول: التفقه في معاني الحديث نصف العلم ، ومعرفة الرجال نصف العلم" [١٢]

ولا يقتصر فقه الحديث عند أهله على أبواب الأحكام فحسب ، بل يعم جميع أبواب الدين، من عقائد ، وأخلاق ، وآداب ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخبار الأمم السابقة، والفتن ، والملاحم ، والتفسير ، ومسائل التكفير، والتفسيق، والإمامة ،والإمارة ، والجهاد ، والسياسة ...،

ومن أوضح الأدلة على عناية المحدثين بفقه الحديث، تصنيفهم المصنفات والدواوين لجمع السنة النبوية وترتيبها على الأبواب الفقهية، كالموطأ، والصحيحين ، والسنن ، والمصنفات ، والصحاح ، وكتب " السنة " ، فهذه الدواوين جمعت في طياتها بين الحديث وفقهه، وهي مرتبة ترتيباً فقهياً، وفيها من التبويبات ما يؤكد العناية العظيمة التي أولاها المحدثون للجانب الفقهي، بل فيها من الدقة وحسن الترتيب ، مالا يدفعه إلا جاهل أو معاند مكابر، بل هم أسبق في التصنيف على الأبواب الفقهية من كثير من فقهاء المذاهب، كما عُنُوا في مصنفاتهم هذه ببيان كثير من الأصول والقواعد ...وبينوا الناسخ والمنسوخ، وألفوا في غريب الحديث لأنه الأداة المهمة في فهم مراد النبيﷺ.

ومن أهم مظاهر عناية المحدثين بفقه الحديث، اهتمامهم الواسع بالآثار السلفية، آثار الصحابة والتابعين، جمعاً وترتيباً، وتبويباً، لأنها تمثل الوعاء الحقيقي لفقه الصحابة، والتابعين، وفهومهم لأبواب الدين عقيدة وشريعة.(١٣)

هذه المظاهر العلمية ، التي تميزت بها مرحلة الرواية ـ مرحلة نقاد الحديث وأئمته ـ تُنبِّئنَا نبأ اليقين بأن فقه الحديث كان يمثل جانباً مهماً وجوهرياً من صناعة المحدثين، لا يقل أهمية عن الصناعة الحديثية الاسنادية، ولقد كان هؤلاء العلماء يرون أن الموضوعية في فقه الحديث النبوي ، هي فهمه كما هو، لا كما يريده الباحث، أو كما هو مذهبه ومعتقده، فلقد كان جل همهم وأساس علمهم التفقه في معاني الأحاديث النبوية كما هي، وكما فهمها السلف الأولون،

يقول الإمام البخاري: " ولقد قال وكيع : من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة ، ومن طلب الحديث ليقوي هواه فهو صاحب بدعة، يعني أن الإنسان ينبغي أن يلغي رأيه لحديث النبي ﷺ ، حيث يثبت الحديث، ولا يعلل بعلل لا تصح ليقوي هواه"[١٤]

لذلك وضع هؤلاء العلماء أسساً للتعامل مع لفظ الحديث، من بينها : إجماعهم على أن الوحي لا يفهم إلا بلغة العرب وأساليبهم، لأن الله تبارك وتعالى أنزل آخر كتبه بلسان عربي مبين، على خاتم أنبيائه ورسله، نبينا المصطفى القرشي العربي الذي أوتي جوامع الكلم، وعليه فقد ارتكز منهج أهل الحديث في فهم الحديث النبوي على ركائز عدة ، منها : فهم الحديث حسب لغة العرب، في مفرداتها، ومعانيها، ولذا عنوا بغريب الحديث، فألفوا فيه المصنفات والكتب، فكانت كالقواميس اللغوية للحديث النبوي.وفي صحيح البخاري مثلاً نماذج كثيرة عن عنايته بهذا الشأن.

ومن الركائز أيضاً : لزوم ظاهر الحديث ، وعدم تأويله عنه إلى معنى آخر إلا بقرينة واضحة، يقول الإمام الشافعي: " ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره، إلى معنى باطن يحتمله، كان أكثر الحديث يحتمل عدداً من المعاني، فلا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجةٌ على أحد ذهب إلى معنى غيره، ولكن الحق فيها واحد، أنها على ظاهرها وعمومها إلا بدلالة عن رسول الله ﷺ ، أو قول عامة أهل العلم بأنها على خاص دون عام، أو باطن دون ظاهر، إذا كانت صُرفت إليه عن ظاهرها محتملة للدخول في معناه، وسمعتُ عدداً من مُقدمي أصحابنا وبلغني عن عدد منهم من مقدمي أهل البلدان في الفقه معنى هذا القول ولا يخالفه " [١٥]

ومن الركائز أيضاً: جمعهم أحاديث الباب الواحد الثابتة كلها ، وفهمها بعضها مع بعض، فيقيدون المطلق، ويخصون العام ، ويفسرون المجمل ...الخ ، ولا يضربون بعضها ببعض، لأنها من مشكاة واحدة،

ومن أهم ما امتاز به فقه أهل الحديث، عنايتهم بالجانب الروحي التربوي، وربطهم الأحكام به، فهي ـ الأحكام اعتقاديه أم عملية ـ عندهم ليست مجرد مسائل جافة، تحفظ وتفرغ ويقاس عليها ، وتلقى على الناس هكذا ... بل هي من عند الله تعالى إما

أوامر أو نواهٍ ، أو توجيهات وهدايات ينبغي الامتثال لها، والتقرب إلى الله تعالى بتعلمها والعمل بها.

يقول د. عبد المجيد محمود : " إن نظرة المحدثين للفقه تمثل الاتجاه الديني والتصور الإسلامي للحياة ووظيفتها، هذا الاتجاه الذي لا ينسى وهو يقرر الضوابط للسلوك الإنساني في الحياة أن يُعِد الإنسان أولاً، وأن يثير في نفسه الدوافع التي تحثه على تقبل هذه الضوابط، والرغبة في تطبيق الأحكام التي يكلف بها، .... وإغفال هذا الإعداد الروحي، الذي يضيء القلب ويوثق الصلة بين العبد وخالقه ، ويوحي بالتنافس في رضاه، يؤدي إلى انفصال المجتمع الإسلامي عن تشريعاته، ويتسبب في إيجاد هوة عميقة تفصل بين واقع الناس، وما يلقى إليهم من أحكام فيعمدون إلى تأويلها، والتحايل على إخضاعها لواقعهم، وكلما اتسعت الفجوة اشتدت الجفوة، ووَهيَ سلطان هذه الأحكام ، واستخف الناس بها ، فيصبح الناس وعلاقاتهم في جانب، وسلوكهم في جانب، وتقبع الأحكام والتشريعات في جانب، قصيٍّ عنها، لا تأثير لها ولا حياة فيها" (١٦)

لذلك كان مفهوم الفقه عن السلف مفهوماً رحباً، يتسع لمعرفة الأحكام العملية، والدوافع الإلهية معاً.

ومن مظاهر منهجهم هذا عدم جرأتهم على الفُتيا، وذمهم كثرة المسائل وتقديرها، وعدم جزمهم بالأحكام، **ومن الآثار الطيبة** لمنهج أهل الحديث في فقه السنة: وحدة فهمه وقلة اختلافهم وتنازعهم في جل أبواب الدين.

لذلك كان المنهج العلمي لدى سلف هذه الأمة من القرون الخيرة توجيه طلاب العلم إلى الإكثار من الفهم والفقه والنظر، والإقلال من الحفظ المجرد للطرق والأثر، وقد قال ﷺ : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ..." (١٧) وقال في حديث عبد الرحمن بن أَبْزَى: " .... ما بالُ أقوام لا يفقهون جيرانهم ؟! ولا يعلمونهم ؟! ولا يفطنونهم ... الحديث"(١٨)

وما ورد في حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : " ستفتح لكم الأرض، ويأتيكم قوم، أو قال غلمان حديثة أسنانهم، يطلبون العلم، ويتفقهون في الدين،

ويتعلمون منكم، فإذا جاءوكم ، فعلموهم، ولاطفوهم ووسعوا لهم في المجلس، وفهموهم ...الحديث " فكان أبو سعيد يقول لطلابه : مرحباً بوصية رسول الله، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسع لكم في المجلس، وأن نفهمكم الحديث"[١٩]

والشاهد ـ من هذه النصوص الأنفة الذكر ـ توصية النبي ﷺ بطريقة التعليم المثلى وهي: التفقه في الدين، وفهم الحديث وتفهيمه تفهيماً .

إن الفهم، والفقه ، واستنباط الفوائد والمعاني والأحكام من الحديث هو الغاية من الاشتغال بصناعة الحديث ، ومن أجل سلامة هذه الغاية وسدادها، كان الجرح والتعديل ، ودراسة الأسانيد، وما بني عليهما من القبول أو الرد. فثمرة الاشتغال بالحديث :- الدراية في نصوصه، والتفقه في متونه لا الاشتغال بالرواية المجردة فحسب، حتى يجمع العالم بين الوسيلة والغاية،

وإذا كان المراد من كلمة الفقه ـ في معاجم اللغة العربية ـ هو الإدراك الفطن[٢٠] العميق النافذ في أمر من الأمور ، والذي يتعرَّف غايات الأقوال والأفعال، لا مجرد ظواهرها.فإن ذلك يؤكد ما ذهب إليه السلف من توجيه أصحابهم إلى الدراية أكثر من الرواية.

وبذا يتميز عن الفهم الذي يدل على مجرد الإدراك ، ولو بلا تعمق ، كما جاء في الحديث المتفق عليه" من يرد الله به خيراً يفقه في الدين"[٢١]، وفي دعاء النبي ﷺ لحبر الأمة وبحرها عبد الله بن عباس " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل " [٢٢]

والقرآن نفسه يريد من علماء الأمة التفقه في الدين، لا مجرد تعلم الدين كما في قوله تعالى: {... فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (١٢٢) سورة التوبة.

ولقد دلت الأحاديث على فضل الواعي على الراوي، وهذا يدخل في فقه مراتب الأعمال : أي أولوية وأهمية علم الدراية على الرواية، وأولوية الفهم والفقه، على مجرد الاستيعاب والحفظ، لأن الفهم مع قلة الحفظ ، قلَّ أن يكون معه علم، كما قال الإمام بن أبي جمرة الأندلسي [٢٣]

وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى ﷺ [٢٤] شبه النبي ﷺ العالم الفاهم الفقيه بالمعاني بالأرض الطيبة التي نزل عليها الماء من السماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فنفع الله به الناس، كما شبه العالم الناقل الراوي الذي ليس له فهم ولا فقه بالأرض الجدباء التي أمسكت الماء، فشرب الناس منه، وسقوا ، وزرعوا ، وانتفعوا ،

فقد فرق هذا الحديث بين العلماء الوعاة ، والعلماء الرواة، ودَلَّ على أن أرفع أصناف الناس درجة ومرتبة عند الله ورسوله ، هم أهل الفهم والفقه، وبعدهم أهل الحفظ والنقل، ومن هنا كان فضل الدراية على الرواية ، وفضل الفقهاء على الحفاظ،

إن الإكثار من الرواية دون فقه ودراية، كثيراً ما يكون مظنة زلل الأقدام ، وضلال الأفهام ، واضطراب الأحكام ، والخروج على الناس بفتاوى واستنباطات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا تقوم على حجة ولا دليل، ولا برهان، وهذا الأمر حذَّر منه الصحابة رضوان الله عليهم أنفسهم في وقت مبكر، فقد روى حافظ المغرب ابن عبد البر القرطبي بسنده إلى عباد بن عبد الصمد قال: " سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول : إن العلماء همتهم الوعاية، وإن السفهاء همتهم الرواية " [٢٥]

وقال الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - : " تفسير الحديث خير من سماعه" [٢٦] ، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي قال الإمام أبو علي النيسابوري : الفهم عندنا أجل من الحفظ"[٢٧]

غير أن كلام هؤلاء الأئمة الجهابذة ، لا ينبغي أن يجنح بذهن القارئ إلى خلاف المقصود ، فيسيء الظن برواة الأحاديث وحملتها ، وهم مصابيح الدجى ، ونجوم الهدى، الذين حفظوا على الأمة دينها ، ونقلوا إليها عقيدتها وشريعتها ، أو يظن أن المراد من أقوالهم أن الحفظ ليس له أي قيمة مطلقاً، وأن الذاكرة ليست مهمة، فهذا لا يقول به عاقل، وإنما المراد أن الحفظ هو مجرد خزن للمعلومات والمعارف، ليستفاد منه بعد ذلك ، فالحفظ ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو وسيلة لغيره،

وقد كان أئمة الحديث وفقهاؤه، يعرفون منزلة الفقه والفقهاء ، فيوجهون أصحابهم، ويحثونهم عليه، وعلى مجالسة أئمته والأخذ عنهم. ولذلك كان إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس رحمه الله ينتقي من يأخذ عنه الحديث ، فكان إلى جانب انتقائه كون الرجل ثقة مقبولاً، كان ينتقيه ليكون من أهل الدراية والفهم لما يرويه.

روى القاضي عياض قال: قال ابن وهب: " نظر مالك إلى العطاف بن خالد - وهو من مقبولي الرواية - فقال مالك : بلغني أنكم تأخذون من هذا !! فقلت بلى ، فقال: ما كنا نأخذ إلا من الفقهاء" (٢٨)

ولذلك أوصى مالك ابني أخته أبا بكر وإسماعيل ، ابني أبي أويس ، بالمنهج العلمي السديد الذي ينبغي لهما أن يسلكاه في طلب العلم، فقال لهما : أراكما تحبان هذا الشأن - يعني رواية الحديث - قالا: نعم. قال:إن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما، فأقلا منه وتفقها. (٢٩)

ورُوي عن ابن وهب المصري أحد أجلاء تلامذة مالك رحمه الله ، قال : لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له : كيف ذلك؟ قال: أكثرت من الحديث فحيرني، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث، فيقولان لي: خذ هذا ودع هذا. (٣٠)

وهذه الحيرة التي حصلت لابن وهب، مثلها ما رواه الخطيب أيضاً بسنده إلى أبي نعيم الفضل بن دكين - أحد مشاهير شيوخ الإمام البخاري - قال أبو نعيم : " كنتُ أمر على زُفَر بن الهذيل - من كبار أصحاب الإمام أبي حنيفة - وهو محتب بثوب فيقول: يا أحول تعال حتى أغربل لك أحاديثك ، فأريه ما قد سمعت، فيقول هذا يؤخذ به، هذا لا يؤخذ به، وهذا ناسخ وهذا منسوخ " (٣١)

ولهذا كان إمام الجرح والتعديل أبو زرعة الرازي يقول:" عليكم بالفقه، فإنه كالتفاح الجبلي يطعم من سنته"[٣٢]

وقد ذكر الخطيب البغدادي في آخر كتابه" الكفاية في علم الرواية" بعض مرجحات الآثار والأخبار، فقال : " ويرجح الحديث بأن يكون رواته فقهاء، لأن عناية الفقيه بما يتعلق بالأحكام أشد من عناية غيره بذلك" [٣٣]

ولهذا فَضَّل الأئمة الأعلام شموس الإسلام الأحاديث التي يتداولها الفقهاء على ما يتداوله غيرهم، وقد عقد القاضي الرَّامَهُرمُزِي في " المحدث الفاصل " فصلاً طويلاً بعنوان : " القول في فضل من جمع بين الرواية والدراية"

وهكذا نصل إلى أن العلم في أصله ـ وفي معناه في اللغة كذلك ـ هو: الفهم والدراية والوعاية، وليس الإكثار من الحفظ والتوسع في الرواية فحسب، وهذا المعنى هو المراد من قول مالك رحمه الله : " ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب" . وقال الشافعي: قيل لمالك بن أنس : إن عند ابن عيينة عن الزهري أشياء ليست عندك!! فقال مالك: وأنا كل ما سمعته من الحديث أحدث به؟ أنا إذاً أريد أن أضلهم"[٣٤]

ولذلك قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : " كنا نسمع الحديث ، فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزائف، فما عرفوا أخذنا به، وما أنكروا تركنا " [٣٥]

وقال القاضي الرَّمَهُرمُزِي ينصح أصحاب الحديث :" فتمسكوا ـ جبركم الله ـ بحديث نبيكم ﷺ، وتبينوا معانيه وتفقهوا به ، وتأدبوا بآدابه، ودعوا ما تُغَيَّرُون به من تتبع الطرق ، وتكثير الأسانيد وتطلب شواذ الأحاديث ، وما دلسه المجانين ، وتبلبل فيه المغفلون" [٣٦]

وهكذا بين الأئمة الأعلام أن الإقلال من الرواية هو سبيل التفهم والتفقه ، وأنه قلما يكون مع كثرة الرواية فهم وفقه.

فقد روى الرَّامَهُرمُزِي في باب سماه "باب من كره كثرة الرواية " بسنده إلى سفيان ابن حسين قال: قال لي ابن شبرمة : أقل الرواية تفقه" [٣٧]

وأحسب أن هذا الأمر هو الذي جعل حافظ المغرب أبا عمر ابن عبد البر القرطبي يترجم لباب من أبواب كتابه النفيس " جامع بيان العلم وفضله " بقوله : " باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه، قال رحمه الله معقباً على أقوال أهل العلم في هذا الباب: " الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار دون تفقه ولا تدبر. ...لأن المكثر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه " [٣٨]، وشنع رحمه الله على أهل عصره مسلكهم المرذول، في نبذهم للفهم والفقه والتدبر فقال: " أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه، ولا تدبر لمعانيه، فمكروه عند جماعة أهل العلم ، [٣٩] ثم بسط رحمه الله الكلام في انتقاد هذا المسلك غير المرضي لأهل زمانه وبلده فقال: " واعلم - رحمك الله - أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا - يعني الأندلس - قد حاد أهله عن طريق سلفهم، وسلكوا في ذلك مالا يعرفه أئمتهم، وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم، وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم، ...إلى أن قال : فجمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم، والحق والكذب في كتاب واحد ، وربما في ورقة واحدة، ويدينون بالشيء وضده، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم، وقد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار، فألسنتهم تروي العلم، وقلوبهم قد خلت من الفهم ، غاية أحدهم معرفة الكنية العربية ، والاسم الغريب ن والحديث المنكر ، وتجده قد جهل مالا يكاد يسع أحداً جهله من علم صلاته، وحجه، وصيامه، وزكاته" [٤٠]

وهذا الجهل بأبسط فرائض الإسلام وأركانه عند بعض هؤلاء الأغمار حملة الأسفار ، رآه الإمام ابن الجوزي رحمه الله في زمانه رأي العين. قال رحمه الله في " صيد الخاطر" : " وقد رأينا في مشايخنا المحدثين من كان يسأل عن مسألة في الصلاة

فلا يدري ما يقول" [٤١] ، لذلك رفض - رحمه الله - تشاغل أهل الحديث عن المهم الذي هو الفقه، بكثرة الطرق والروايات، فقال: " فأنا أنهي أهل الحديث أن تشغلهم كثرة الطرق ، ومن أقبح الأشياء أن تجري حادثة يسأل عنها شيخ قد كتب الحديث ستين سنة ، فلا يعرف حكم الله عز وجل فيها" [٤٢]

وينصح في مكان آخر بمخالطة الفقهاء ومجالستهم، ليستقيم الفهم ، وتحصل ملكة الفقه، قال: " وكل من لم يخالط الفقهاء وجهد مع المحدثين، تأذى وساء فهمه، فالحمد لله الذي أنعم علينا بالحالتين" [٤٣]

وهكذا يعلم أن الإكثار من كَتْبِ الحديث وروايته، والبحث عن الطرق والتشاغل بها، لا يصير بها طالب العلم فقيهاً، وإنما يتفقه بالدربة على استنباط معاني الحديث، وفوائده ، وأحكامه، وإدمان النظر في كتب فقه الحديث وشروحه،

يقول الإمام ابن قتيبة في كتابه " تأويل مختلف الحديث " : " على ...أنا لا نخلي أكثرهم من العذل - أي اللوم - في كتبنا، في تركهم الاشتغال بعلم ما قد كتبوا ، والتفقه بما جمعوا، وتهافتهم على طلب الحديث من عشرة أوجه، وعشرين وجهاً، وقد كان في الوجه الواحد، الصحيح ، والوجهين، مقنع لمن أراد الله عز وجل بعلمه، حتى تنقضي أعمارهم ، ولم يحلوا من ذلك إلا بأسفار أتعبت الطالب ولم تنفع الوارث ، فمن كان من هذه الطبقة ، فهو عندنا مضيع لحظه، مقبل على ما كان غيره أنفع له " [٤٤]

وفي نفس المعنى قال ابن الجوزي في " ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث" : " من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث ، والرحلة فيه ، وجمع الطرق الكثيرة، وطلب الأسانيد العالية، والمتون الغريبة، وهؤلاء على قسمين : قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، وهم مشكورون على هذا القصد ،إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين، من معرفة ما يجب عليهم،والاجتهاد في أداء اللازم، والتفقه في الحديث..فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ، ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ، ولو وقعت له حادثة في صلاته ،

لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه، وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: زوامل أسفار لا يدرون ما معهم "[٤٥]

وانتقد الخطيب البغدادي مسلك هذه الطائفة من أهل الحديث كذلك فقال: "وقد استفرغت طائفة من أهل زماننا وسعها ، في كتب الأحاديث والمثابرة على جمعها، من غير أن يسلكوا مسلك المتقدمين ، وينظروا كالسلف الماضين في حال الراوي والمروي، وتمييز سبيل المرذول والمرضي، واستنباط ما في السنن من الأحكام،وإثارة المستودع فيها من الفقه بالحلال والحرام ، بل قنعوا من الحديث باسمه، واقتصروا على كَتْبه في الصحف ورسمه، فهم أغمار وحملة أسفار"[٤٦]

إن كلام هؤلاء الأئمة الذي يوزن بالذهب ينبغي أن يعض عليه بالنواجذ، وأن يوضع نصب الأعين في الدراسات الإسلامية والشرعية المعاصرة، كي لا ينحرف المسار العلمي في وجهة واحدة بغير دليل هاد.

وإنا لنربأ بأساتذة الحديث ، وطلابه أن يصبحوا مثل هؤلاء الأغمار، حملة الأسفار، وزوامل الأخبار ، الذين ذكرهم الخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وابن الجوزي وغيرهم.

وبعد هذا البيان في ضوء ما ذكرناه في هذا الموضوع - باختصار - تبين لمن رزق العلم والفهم مدى حرص علماء الحديث على فهم السنة النبوية فهماً صحيحاً وأنه لا سبيل إلى حسن فهمها ، وفهم مقاصدها وهدايتها إلا بلزوم فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وما لحقت الفتن والمصائب إلا بسبب سوء الفهم ، الذي تبعه لزاماً وحتماً سوء التطبيق والعمل،

وفي ظني أن ما ذكرناه يرد على من يتهم المحدثين بأنهم لا يحسنون إلا نقل الأخبار وتصحيحها أو تضعيفها.

المبحث الثاني

الكياسة في السنة النبوية

من أهم مظاهر الإسلام، اليقظة ، والإحساس بالمسئولية، وتحمل تبعاتها والتغلب على الصعاب من غير بأس، والأخذ بالأسباب، وكل هذه من معاني القوة التي يعبر عنها في الإسلام بالكياسة،

أما الغفلة والضعف والتواكل، فهي من مظاهر العجز الذي يحاربه الإسلام، ويقابل بينه وبين الكياسة كما في الحديث الشريف " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني" (٤٧)

ولما كان الكيس هو الذي يستطيع أن يستنبط ما وراء وصايا النبي ﷺ من عمق ومعانٍ ، نود أن نقف على المعنى المراد من كلمة الكيس لغة، ثم نعرج على المعنى العميق الذي عناه النبي ﷺ،

الكيْسُ: الخفة والتوقد، كاس كَيْساً وهو كَيْسٌ، وكَيِّسٌ ، والجمع أَكْيَاس، والأنثى كَيسَةٌ وكيْسَة ، والكُوسى ، والكِيْسَ : جماعة الكَيِّسَة، قال ابن سيده: وعندي أنها تأنيث الأَكْيسْ، وقال الليث: جمع الكَيِّس كيَسَة، ويقال هذا الأَكْيَسُ ، وهي الكُوسى ، وهن الكُوسُ ، والكُوسيَات : النساء خاصة. وفي الحديث " وكان كَيْسُ الفعل" أي حَسَنَه، والكيْسُ في الأمور : يجري مجرى الرفق فيها،

ورجلٌ مُكَيَّس : كَيْسٌ أي أوجب لأن يكون البنون أكياساً، وامرأة مِكْيَاس : تلد الأكياس، وأَكْيَسَ الرجل وأَكَاسَ إذا ولد له أولاد أكياس. والتَّكَيُّسُ: التظرف، وتَكَيَّس الرجل: أظهر الكَيْسَ ، والكيْسى : نعت المرأة الكَيِّسة ، وهو تأنيث الأَكْيَس ،وكذلك الكوسى.

وقد كاس الولد يَكِيْسُ كَيْساً وكيَاسة ،وفي الحديث عن النبي ﷺ " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت" (٤٨) أي العاقل ، وفي الحديث " أي المؤمنين أكيس "(٤٩) أي أعقل؟

قال أبو العباس: الكَيِّسُ : العاقل ، والكَيْسُ: خلاف الحمق، والكَيْسُ : العقل.

والكيس : الجماع ، وفي حديث النبي ﷺ " فإذا قدمتم على أهاليكم فالكَيْسَ[٥٠] ،الكَيْسَ: أي جامعوهن طلباً للولد ، أراد الجماع فجعل طلب الولد عقلاً ، والكَيْسُ : طلب الولد.

أكاس الرجل : إذا أخذ بناصيته، وأكاست المرأة إذا جاءت بولد كَيِّس، فهي مُكيسة، ويقال كايست فلاناً فَكَسْتُه كَيْساً : أي غلبته بالكيس ، وكنت أكيس منه ، وفي حديث جابر أن النبي ﷺ قال له : " أتراني إنما كِسْتُك لآخذ جملك" [٥١] أي غلبتك بالكَيْس: وهو يُكَايسُه في البيع.

والكَيْس : من الأوعية ،وعاء معروف يكون للدراهم والدنانير والدر والياقوت. والجمع كِيَسَة. وفي الحديث " هذا من كيس أبي هريرة" [٥٢] أي مما عنده من العلم المقتنى في قلبه، كما يُقْتَنَى المال في الكِيس ، ورواه بعضهم بفتح الكاف أي من فِقهه وفِطنَته، لا من روايته.[٥٣]

فالكيس هو الذي ينتفع بوقته ، وينتفع بما عنده، يقول النبي ﷺ " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " [٥٤] يتبين من هذا الحديث عظم العبارة النبوية التي أعطت المعاني العظيمة، وبينت الحقيقة التي نلمسها، بأن كثيراً من الناس لا يستغلون صحتهم ولا فراغهم في طاعة الله تعالى، وعبر عن ذلك بالغبن ، فعلى المسلم الكيس أن ينتبه إلى هاتين النعمتين، ويحاول أن يقوم بالطاعة والعبادة في كل فرصة تسنح له، سواء من جانب صحته، أو من جانب فراغه، وقد شبه رسول الله ﷺ المسلم بالتاجر الذي يحاول جهده كسب المال، والحصول عليه لينمو رأس ماله أو ليزيد ربحه ، أما إذا اشترى برأس المال الذي يتاجر به بضاعة كاسدة لا يرغبها أحد ، ولا يقبل عليها إنسان ، فإنه يكون قد غبن في هذه الصفقة ، وأذهب رأس ماله بما لا طائل تحته، ولا فائدة ترتجي منه، وكذلك الحال ، إذا رزق الله المسلم الصحة ، فأذهب صحته في الفسق والفجور وأضاع وقته وشبابه في اللعب والمجون، وفقد فتوته دون أن

يستفيد من ذلك في التقرب إلى الله تعالى، وفي عمل الخير ، وتقديم البر والمعروف فإنه قد غبُن في هذه النعمة التي رزقها وهي الصحة.

والنعمة الثانية هي (الفراغ)، وليس أحد من الناس إلا ويملك وقتاً فارغاً لا يدري ماذا يعمل فيه ، مع أن الوقت من أغلى الأشياء ، وأثمن ما يمتلكه الإنسان ، بل نجاح الإنسان في هذه الدنيا يقدر بحسب استفادته من الوقت الذي أفاضه الله عليه، وأكرمه به، وكثيراً ما تكون خسارة الإنسان ناتجة عن عدم استغلاله لوقته، وعدم الإفادة من الفرص المتاحة له في ذلك الوقت. الوقت رأس مال للإنسان، ورأس مال عظيم جداً ، حيث به يستطيع أن يقوم بكل عمل يريده فإذا اشترى به سلعة كاسدة لا يطلبها إنسان ، فسيكون مغبوناً في هذا الوقت الذي تمكن منه، فضيعه فيما لا فائدة منه تعود عليه في الدنيا ولا في الآخرة.[٥٥]

والكيس : هو الذي ينتفع بكل خير، ويتمتع بالاستعداد لتقبله، وطوائف الناس لا تكاد تتفق ، وعلى قدر كياستهم ينتفعون ، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لهذا المعنى عندما قال: " إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها ، وسقوا، وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" [٥٦]

هدي السماء الذي جاء من أجل الإنسان لتزكو نفسه وتطهر، وليعرف ماله وما عليه، هدي السماء الذي أرسله خالق الإنسان ومبدعه ، الذي أعطاه العقل وأكرمه، فالكيس هو الذي يقف منه الموقف الذي يجب عليه أن يقفه من التلاؤم والتجاوب، والانسجام، والعمل بمقتضى تعاليمه ، والخضوع لأوامره ، والاستسلام لفرائضه، كان الإسلام له كالماء النازل من السماء للأرض الطيبة شربته وأمدت به الأشجار

المثمرة التي تزهر وتعطي غيرها ثماراً يانعة، فانتفع الناس بالظل الوارف الذي ألقته على الأرض ، وأفادوا بالثمار الطيبة التي حملتها، وتمتع النظر بالجمال الذي لبسته ، ورأوا فيها آية من آيات الله الباهرة التي تظهر حجة الله على خلقه، فهذا هو الكيس الذي نفعه الله بما جاء به النبي ﷺ من الهدى والعلم. استفاد منه في نفسه، واستفاد منه في علمه فكثره، ثم أفاد غيره. (٥٧)

والكيس الذي يستنبط من ألفاظ النبي ﷺ عمق المعاني الكثيرة لأننا كما أسلفنا أنه ﷺ بعث بجوامع الكلم مما يؤكد الحض على حسن التفهم والحث على الاستنباط لاستخراج تلك المعاني، ونبش تلك الدفائن المودعة فيها، كما قال الإمام الخطابي (٥٨) فمثلاً قوله ﷺ :" إن من الشجر شجرة مَثَلُها كمثل المسلم " قال ابن عمر : فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكت ، فقال النبي ﷺ :" هي النخلة" (٥٩) هذا الحديث أورده الإمام البخاري في أحد عشر موضعاً في صحيحه ، ورواه مسلم في " صحيحه" من خمس طرق ، ورواه غير البخاري ومسلم من أصحاب الكتب الستة ، والإمام أحمد في " المسند"، وغيره من المحدثين. فلو نظرنا مثلاً إلى عناوين الأبواب التي رواه فيها الإمام البخاري ، لأن العناوين تعد بمثابة شرح وجيز لمعاني الحديث لوجدناه أنه رواه في أربعة مواضع من كتاب العلم في (باب قول المحدث حدثنا، وأخبرنا ، وأنبأنا) ، وفي باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) ، وفي باب (الفهم في العلم)، وفي باب (الحياء في العلم) ، وفي كتاب البيوع في باب (بيع الجمَّار وأكله) ، وفي كتاب التفسير في (تفسير سورة إبراهيم) ، وفي موضوعين من كتاب الأطعمة في باب (أكل الجمَّار، وفي باب (بركة النخلة) ، وفي ثلاثة مواضع من كتاب الأدب في باب (مالا يُستَحيى من الحق للتفقه في الدين) ورواه مرة أخرى فيه بلفظ آخر، وفي باب (إكرام الكبير، ويبدأ بالأكبر بالكلام والسؤال)

قال الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى ، في (تقديمه) لكتاب " الأبواب والتراجم للبخاري" للمحدث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله : اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في (تراجم صحيحه) ولتنوُّع مقاصد الإمام البخاري ،وبعد مراميه،

وفرط ذكائه ، وحدة ذهنه، وتعمقه في فهم الحديث ، وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادة ممكنة، أورد الحديث الواحد في مواضع كثيرة في أبواب متنوعة العنوان والمعنى، والموضوع، فهو كنحلة حريصة تواقة، تجتهد أن تتشرب من الزهرة آخر قطرة من الرحيق، ثم تحولها إلى عسل مصفّى فيه شفاء للناس.

وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح : شأن العاشق الصادق والمحب الوامق، مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال ، وكساه ثوباً من الروعة والجلال، فهو لا يكاد يملأ عينيه منه ، وهو كلما نظر إليه ، اكتشف جديداً من آيات جماله ، فازداد افتتاناً وهُياماً، ورأى جماله يتجدد كل حين.

ولذلك نرى الإمام البخاري ، لا يكاد يشبع من استخراج المسائل، واستنباط الفوائد ، والنزول إلى أعماق الحديث ، والتقاط الدرر منه ، والخروج على قرائه بها، حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة ، فقد روى (حديث بريرة عن عائشة أكثر من اثنتين وعشرين مرة) واستخرج منه أحكاماً وفوائد جديدة،

وروى (حديث جابر قال:كنت مع النبي ﷺ فأبطأ جملي وأعيا...) الحديث، أكثر من عشرين مرة ، وروى (حديث عائشة أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد) في أحد عشر موضوعاً وعقد له أبواباً وتراجم لها، وروي حديث ابن عمر- هذا الذي أوردناه - في أحد عشر موضوعاً .

وسر ذلك أن الإمام البخاري لا يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الأحاديث ، شأن أقرانه ، ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه، بل يستخرج من الأحاديث فوائد علمية ، وعملية ، لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة [٦٠]. ولو استعرضنا طائفة من المعاني المستنبطة من هذا الحديث لعلمنا مدى أهمية الفهم ، والحض عليه ، **فمن الفوائد على سبيل المثال:**

استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه، ليختبر أفهامهم ، ويرغبهم في الفكر والاعتناء، مع بيانه لهم ما خفي عليهم إن لم يفهموه، ومن الفوائد، التحريض على

الفهم في العلم، وضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لتَرْسُخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة ، ومنها أن تشبيه الشيء بالشيء ، لا يلزم منه أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإن المؤمن لا يماثله شيء في الجمادات ولا يعادله.

ومنها : استحباب الحياء مالم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمرُ أن يكون ابنه لم يسكت، ومنها : توقير الكبير ، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه، وإن ظن أنه الصواب ، ومنها : أن العالِمَ الكبير قد يخفي عليه بعض ما يدركه من هو دونه ، لأن العلم مَوَاهب ، والله يؤتي فضله من يشاء ، ومنها ما استدل به الإمام مالك ﷺ على أن الخواطر التي تقع في القلب ، من محبة الثناء على أعمال الخير ، لا يُقْدَح فيها إذا كان أصلها لله تعالى، وذلك مُستفاد من تمني سيدنا عمر ﷺ أن يكون ابنهُ قد قال ما فهمه ووقع في نفسه من الصواب.

ووجهُ تمنى عمر ﷺ : ما طُبِعَ الإنسان عليه من مَحَبَّة الخير لنفسه ولوَلَده ، ولتَظْهَرَ فضيلة الولد في الفَهْم من صِغَره وليزداد من النبي ﷺ حُظوة، ولعله كان يرجوا أن يدعو له رسول الله ﷺ إذ ذاك بالفهم ، كما دعا ﷺ لعبد الله بن عباس، لما أدنى إليه الماء إلى بيت الخلاء ، من تلقاء نفسه دون سابق إشارة منه ﷺ، فقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[٦١] ، فكان ﷺ كذلك ،

ومن الفوائد أيضاً : فَرَحُ الرجل بإصابةِ ولدِهِ وتوفيقه للصواب ، ومنها : الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر ﷺ، لأنه قابل فَهْمَ ابنه لمسألة واحدة بحُمُرِ النَّعَم ـ كما جاء في رواية ـ مع عِظَمِ قَدْرِها وغَلاءِ ثمنها، ومن الفوائد أيضاً : أنه لا يكره للوَلَدِ أن يُجيب بما عَرَفَ في حضرة أبيه ، وإن لم يعرفه الأب ، وليس في ذلك إساءة أدب عليه،

ومنها أيضاً : ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الحياء من أكابرهم وأَجِلاَّئِهم ، وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم. هذا وقد أورد الإمام ابن فَرْحُون هذا الحديث الشريف في كتابه " دُرَّةُ الغَوَّاص في محاضرة الخَوَاص" ـ وهو معروف بألغاز ابن فرحون ـ ثم قال : " قال العلماء: وفي هذا الحديث دليل على أنه ينبغي للعالم أن يُميِّز

أصحابه بالغاز المسائل العويصات عليهم ، ليَخْتبِرَ أذهانهم في كشف المعضلات وإيضاح المشكلات" [٦٢]

والكيس : الذي لا يستهين بشيء وإن كان تافهاً، بل يباركه وينميه، ولا يصعب أن يجد له جزاء يقابل ذلك العمل، يقول النبي ﷺ :" لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " [٦٣] ويقول أيضاً : " كل معروف صدقة " [٦٤]

والكيس : الذي يحاسب نفسه، ويضبط ألفاظه ولسانه، استجابة لقوله الله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ .....} (٥٣) سورة الإسراء، ويقول النبي ﷺ: " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم " [٦٥]

والكيس : الذي جعل الآخرة أكبر همه، ومنتهى أمله ، وجعل الدنيا وسيلة إليها ، قال تعالى: {... وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (٣٢) سورة الأنعام وقال عز وجل : {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (٦٤) سورة العنكبوت ، وقال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} (٢٠) سورة الشورى، والآيات كثيرة في هذا الجانب. أما السنة فيقول النبي ﷺ : "من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة " [٦٦]، ويقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : " يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً ، يا ابن آدم لا تباعد عني فأملأ قلبك فقراً ، وأملأ يديك شغلاً " [٦٧] ، ويقول النبي ﷺ - عندما سأله فتى من الأنصار ، أي المؤمنين أفضل؟ - قال : " أحسنهم خلقاً " قال: فأي المؤمنين أكيس ؟ قال ﷺ : " أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل بهم أولئك من الأكياس " [٦٨]

وفي حديث ابن عمر وأبي هريرة ، قال ﷺ : " أكثروا من ذكر هَاذِم اللذات " قيل وما هاذم اللذات يا رسول الله ؟ قال : " الموت" (٦٩)

وإذا كانت الدنيا ممراً للآخرة كان على الكيس أن يتجنب ما فيها من أخطار ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ " إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ،واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " (٧٠) ، ويقول النبي ﷺ : " ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء" (٧١) ، وإذا كان العبد لا يدري متى يَفْجَؤُه الأجل ، ولا يعلم متى يباغته الموت . فإن الكيس السعيد ، من وفق للسير في درب التوبة والاستقامة والصلاح ليَحْصُلَ له في دنياه وآخرته الخير والفلاح والتوفيق والنجاح.

وليس كل من تلفظ بالإسلام يعد كيساً ، ولكن الكيس من ينتفع بمبادئ الإسلام وتعاليمه ولذلك يقول النبي ﷺ : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا" (٧٢) شبه النبي ﷺ الناس ، كل الناس بالمعادن وما أكثر المعادن ،وما أشد اختلافها في صفاتها ، فلكل معدن صفة تميزه ، وخواص فيزيائية فريدة، وأخرى كيميائية متميزة ينفرد بها عن غيره ، بها يعرف وعلى أساسها يميز ، وهكذا الناس، إنه التشبيه الدقيق الذي يقرب الواقع للأذهان عن اختلاف الإنسان عن غيره،

" الناس معادن" أي أن الناس متفاوتون في مكارم الأخلاق ، وهي محاسن الصفات مثل تفاوت المعادن ، فهو تشبيه تمثيلي بليغ، واختيار لفظة " معادن " لما فيها من معنى الاستعدادات المتفاوتة، كتفاوت الناس في قبول هدى الإسلام، واكتفى بهذين المعدنين الثمينين اللذين كانا أرقى المعادن ، وأغلاها ثمناً، وأعلاها مكانة في المجتمع، ليشير للناس أن من كان بين الناس كالذهب والفضة في المعادن ، كان هو المطلوب، وهو المنظور إليه في دين الله ليكون إماماً للناس يقودهم إلى الخير، ويدعوهم إلى الحق ، ويعينهم على التحرر من عبودية شهواتهم وعبودية البشر،

ولهذا كان انتقال الناس من الجاهلية إلى الإسلام، لا يغير الناس ودرجاتهم، فمن كان فاضلاً خيراً في قومه ، في خُلُقِه، وعَقْلِه ، وتصرفاته ، مقدماً بينهم ، كان كذلك في الإسلام ، بشرط أن يفقه هذا الدين ، ويفهم تشريعاته ، ويستوعب أحكامه ليستمر في تقدمه وعلو شأنه، واتصافه بالخير والفضل في دين الله، وهكذا كان الواقع المشاهد ، فكبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، كانوا في جاهليتهم خياراً مقدمين في أقواهم ، وقد يكون الرجل كبيراً في جاهليته، ولكن بعد أن يدخل الإسلام تقعد به همته عن التعمق في دين الإسلام ، وفهم كتابه ، فلا تستمر الخيرية فيه لفقد الشرط . وهو قوله ﷺ : " إذا فَقُهوا " أي صار الفقه سجية لهم ، وعلموا أحكام الإسلام أصولاً وفقهاً وسلوكاً ، والذي يجمع ذلك هو الإنسان الكامل ، والمقصود أن أحدهم قد وَصَلَ ما حازه من شرف الإسلام والفقه فيه ، بما كان عنده من الشرف والمروءة والكرم والسماحة ونحوها في الجاهلية ، ويستفاد من هذا الحديث . أن اختلاف الناس ، في قابليتهم للخير هو بأصل الخلقة ، وأن أهلية الإنسان بشرف ذاته لا تكفي ، إذا لم يكن معها شيء من الفهم والتعمق في الدين ، وأن الإنسان قابل للخير ولتغيير صفاته كقابلية المعادن لذلك،

إن قيام الحياة على هذه الأرض واستمرارها فوق البسيطة ، يقتضي اختلاف طبائع الناس ، وتفاوت استعداداتهم ، ليتمكن كل واحد منهم أن يقوم بالعمل الذي يلائم طباعه ويوائم صفاته، فينفع نفسه ، وينفع الآخرين ، صغيراً كان عمله أم كبيراً ، إذ الحياة لا تنفك عن الأعمال المتفاوتة في القدر.(٧٣)

والكياسة في الإسلام بُعد عن التظاهر والرياء، ومساهمة في كل أوجه الخير ، إذ في انتشاره انتشار للكياسة، ولا تعنى الكياسة غلظة القلب ، ولكنها رقة فيه مع سرعة في الإدراك ، والموازنة الدقيقة بين الأشياء ، والانتفاع بما يتلقنه من مبادئ ، يقول النبي ﷺ :" عرضت على الأمم ... فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق ، فقيل هؤلاء

أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب " ...فقال: " هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون " (٧٤)

والكياسة : تعني اليقظة والإحساس بالمسئولية ، وتحمل تبعاتها ، والتغلب على الصعاب من غير بأس والأخذ بالأسباب، والمسلم لا ينظر إلى هذه الحياة بعين المنفعة العاجلة، وإنما يتطلع إلى حياة سعيدة تريح قلبه المؤمن بالله ، وتنقذه من عذاب الآخرة، ولهذا لا يندفع مع غرائزه وشهواته، وإنما يتبع شرع الله فيما يحد له من مسئوليات، ويفرض عليه من واجبات، يقول النبي ﷺ : " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" (٧٥)

ويقول النبي ﷺ " ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" (٧٦) ففي الحديثين يحدد النبي ﷺ مسؤولية المسلم في هذه الحياة تحديداً يجعل كل مسلم يدخل نطاق المسؤولية مهما كان عمله صغيراً ، وسواء أكان في رعايته أناس ، أم لم يكن فلابد أن يكون تحت رعايته من يرعاه ، ويسأل عنه في الدنيا ، أو في الدارين ، كل العباد رعاة ، ورعيتهم ما وضع تحت أيديهم من عمل عليهم القيام به ، أو مال يحفظونه ، أو تجارة عليهم حفظها وتنميتها ، إنها الرعاية الأمينة التي تحفظ ما أمنت عليه، وترعاه حق الرعاية، وتشعر أن كل ما بين أيديها أمانة لا يجوز لها التصرف فيه تصرفاً يعود عليه بالضرر أو الأذى، كما لا يجوز لها أن تقصر في الحفظ أو تتلكأ في الرعاية ، لأن الأمانة، لا يجوز التفريط فيها أو الغفلة عنها. والفطرة الإلهية التي فُطر الإنسان عليها فطرة تلائم الحياة فوق هذه الأرض، وهي تدفع الإنسان بما ركب عليه من الغرائز إلى تكوين أسرة ، وإلى العيش ضمن مجتمع ، مما يجعل المرء، يفكر بأسرته التي كونها، كما سيهتم بنفسه ، وبمكانته في المجتمع، ويهتم بالمجتمع ومشكلاته ، وبعلاقته بالأفراد والذين حوله ، ولا تقوم الحياة إلا على هذه الصورة من العلاقات الإنسانية بين الأفراد، كل منا

يفكر، ويحمل الهموم الكثيرة ليقدم إلى نفسه وإلى مجتمعه خدمات تعود بالنفع عليه ويؤمن بها عيشة رضية وحياة هانئة سعيدة.[٧٧]

وانظر إلى أي مدى تصل **الكياسة** في ذلك الحديث الشريف الذي يقول فيه النبي ﷺ : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان "[٧٨]. حيث لم يحدد النبي ﷺ لأحد عملاً ، ولكنه قومه في إنصاف واعتدال. يقول الإمام النووي: " المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد ، وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك ، واحتمال المشاق في ذات الله ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار ، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك "[٧٩].

قلت - تفسير الإمام النووي لهذا الحديث - هو عين اليقظة والإحساس بالمسئولية وتحمل تبعاتها ، والتغلب على الصعاب من غير بأس والأخذ بالأسباب - هذه المعاني يعبر عنها في الإسلام بالكياسة،

أما الغفلة والضعف والتواكل فهي من مظاهر العجز الذي يحاربه الإسلام ويقابل بينه وبين الكياسة، كما سبق في الحديث :" والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني "[٨٠]

ومن علامات المؤمن أن يمتاز بالحرص والنشاط والرغبة الصادقة في أداء الواجبات، فالحرص والرغبة تحارب العجز والكسل عن طلب الطاعات لتحقيق المطالب، فمتى حرص العبد على الأمور النافعة ، واجتهد فيها ، وسلك أسبابها وطرقها، واستعان بربه في سبيل حصولها وتكميلها، كان في ذلك كماله وفلاحه، فمن لم يكن حريصاً

على الأمور النافعة ، بل كان كسلان، لم يدرك شيئاً، فالكسل هو أصل الخيبة والفشل " [٨١]

وبدل أن يقول المؤمن " لو " - عليه أن يقول:(حسبنا الله ونعم الوكيل) - وهي كلمة جليلة المعنى ، واسعة الدلالة ، فبعد الأخذ بالأسباب ، وعدم التوصل إلى المراد يقولها الإنسان ، وقد قالها نبي الله إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها نبينا صلوات الله وسلامه عليه - حين قال لهم الناس: " {... إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (١٧٣) سورة آل عمران[٨٢]

قلت: والتوكل الذي هو من مظاهر الكياسة يجب تمييزه عن التواكل الذي هو من مظاهر العجز ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ، بل إن التوكل يقوم على ركنين : اعتماد القلب على الله عز وجل ، والعمل بالأسباب المشروعة ، يقال : وكلت أمري إلى الله : ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه.[٨٣]

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله : " أن من نفى الأسباب لا يستقيم له توكل، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به ، فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه ، فمن أنكر الأسباب، لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بالأسباب ، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية ، والله عز وجل أعلم" [٨٤]

قلت ويدل على قول ابن القيم - حديث أنس ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله أعقلها وأتوكل ، أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : " أعقلها وتوكل" [٨٥]

ومن ضيع على نفسه فرصة منحت له فقد فاتته الكياسة ولا عذر له في ذلك يقول النبي ﷺ : " أعذر الله إلي امريء أخر أجله حتى بَلَّغَهُ ستين سنة" [٨٦] ، ويقول النبي ﷺ :

" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه" (٨٧)

فمن الكياسة اغتنام الفرص والفراغ والصحة والشباب والغنى ، وقبل حصول ما يضاد هذه النعم، فإنه إذا اغتنمها كتب الله له أعماله عند مفارقة هذه النعم، ولذلك يقول النبي ﷺ : " إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً"(٨٨) ويقول ﷺ :" نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ" (٨٩) ، ويقول لرجل وهو يعظه " اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك " (٩٠)

وفي هذه الأحاديث تنبيه للعاقل - مادام في حال الصحة والفراغ - أن يحرص على الأعمال الصالحة حتى إذا عجز عنها لمرض أو شغل كتبت له كاملة. (٩١)

ومن القواعد المقررة أن العمل بخواتيمه ، ومن هنا وجبت الكياسة، لأن النبي ﷺ قال ...إن العبد ليعمل فيما يرى الناس ، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار ، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها " (٩٢) ويقول النبي ﷺ : " إنما الأعمال بالخواتيم ، كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله ، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله" (٩٣) ويقول أيضاً : " يبعث كل عبد على ما مات عليه " (٩٤) ، وعن ابن عباس ﷺ قال : " بينما رجل واقف بعرفة ، إذ وقع عن راحلته ، فوقصته ، أو قال : فأوقصته ، قال النبي ﷺ :" اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ،ولا تحنطوه ،ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً" (٩٥)

قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: وفيه أن من شرع في عمل طاعة، ثم حال بينه وبين إتمامه الموت ، رجى له أن الله يكتبه في الآخرة من أهل هذا العمل، وقال بعض العلماء : " فإن كانت حالته الدينية حسنة، لم تشبها شائبة، ولم يخلط إيمانه بظلم ، ولا أكل حقوق غيره ، ولم يفسق ولم يذنب قبل موته ، فإنه يبعث على ما كان عليه ".

هذا رأي والحديث أعم من ذلك ، ولا يمنع إذا حوسب في حقوق العبد أن يبعث على ما مات من عمل " [٩٦]

والحيطة التي كان النبي ﷺ يعلمها لأصحابه، لدليل واضح على ما كان يعنيه من الكياسة، وهذا الحذر الذي كان يعلّمه ويعلِمه كل أصحابه مثل رائع على الفطنة والكياسة ، يقول ﷺ : " لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده" [٩٧] ويقول : " لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون " [٩٨] ويقول ﷺ : " خمروا الآنية وأجيفوا الأبواب ، وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت " [٩٩]

والخلق العظيم تعبير عن الكياسة، خصوصاً إذا أدار الإنسان الكلمة في قلبه قبل أن ينطق بها لسانه . فإنه مسؤول عنها لا محالة ، ومن أجل هذا كان الصمت محبوباً، يقول النبي ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ..." [١٠٠] الحديث وفي رواية أو" ليسكت " وعند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ :" من صمت نجا"[١٠١]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :" قوله : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" المراد بقوله الإيمان الكامل ، وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ أو الميعاد ، وهذا من جوامع الكلم ، ففيه أمر بقوله " الخير وبالصمت عما عداه ، فالكلام إما أن يكون خيراً ، فيكون مأموراً به ، وأما أن يكون غير ذلك فيكون مأموراً بالصمت عنه" [١٠٢]

ومن هنا جاء الربط بين الإيمان والقلب واللسان، يقول ابن منظور: " والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة فهو مؤمن " [١٠٣]

والإيمان نور الله في القلب، يشرق عليه فتشرق به النفس، ويشرق به الكيان البشري عامة، والقلب مقر الإيمان قال تعالى : {... أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ...} (٢٢) سورة المجادلة، قال الإمام السدي : " كتب في قلوبهم الإيمان جعل في قلوبهم الإيمان " [١٠٤]

وأثبت الحق أن الإيمان يدخل القلوب كما في قوله تعالى : {... وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...} (١٤) سورة الحجرات، كما بين سبحانه أن القلب يطمئن به ، قال تعالى : {...إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ...} (١٠٦) سورة النحل، وقد تولى الله تعالى تزيين الإيمان ليقبله القلب وينفتح له ، كما في قوله تعالى: {...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ...} (٧) سورة الحجرات ، أما بالنسبة للسان فقد بوب البخاري في كتاب الرقاق - باب حفظ اللسان، ثم أورد فيه ، قول الله عز وجل : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١٨) سورة ق. وقول النبي ﷺ - " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " - الذي سبق ذكره، وخلاصة القول أنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ،ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ومن الناس من تفوتهم الكياسة فيتكلمون بما سيندمون عليه، وفي ذلك قول النبي ﷺ :" إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ينزل بها في النار أبعد مما بين المشرق " [١٠٥] والمغرب " عند مسلم.

ولقد كان الإسلام ولم يزل يعلم الناس **الكياسة** مع الناس ويلقنهم كيف يستقبلونهم ومن ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند البخاري ومسلم : " ...وفيه ...فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة. يا رسول الله ، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال رسول الله ﷺ :" يا عائشة ، متى عهدتني فاحشاً ، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء شره"[١٠٦]

وقد جمع هذا الحديث علماً وأدباً كما قال الخطابي ، وليس فيما يطلقه النبي ﷺ على أمته أو أحد من أفرادها مما يسميهم به أو يضيفه إليهم من المكروه غيبة ، إذ الغيبة تكون من بعضهم في بعض، لأن من مهام النبي ﷺ أن يبين للناس بعض الحقائق ، ويعرفهم أَمْرَ بعض الناس ، إذ يدخل ذلك في باب النصيحة والشفقة على الأمة، والرسول ﷺ قابل هذا الرجل الغليظ بالبشاشة لحسن خلقه ﷺ، ولما جبل عليه من

الكرم ، فلم يَجْبَهْهُ بالمكروه، وفعل ذلك ﷺ لتقتدي به أمته في اتقاء شرّ من هذا سبيلُهُ، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته، وهذه من الكياسة التي يعلمها الإسلام للناس .[١٠٧] ولا شك أن الذي تركه الناس، أو ودعه الناس اتقاء فحشه أو اتقاء شره - فاتته الكياسة - التي يعلمها الإسلام.

ومن الكياسة أن يعود الإنسان لسانه النطق بالخير، والبعد عن قول لا يرجى منه فائدة، وقد يتوهم البعض أن الكياسة في الحديث هي المحاورة والسفسطة، وهذا خطأ ، كما أن الذين يستعملون كياستهم في التزوير وقلب الحقائق هم من أشر الناس ، والذين يخدعون الناس بما أوتوا من جدل فقد أبغضهم الله، يقول الله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} (٢٠٤) سورة البقرة، ويقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه :" إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم "[١٠٨] هؤلاء أعطوا من قوة الحجة ما يمكنهم من خداع بعض الناس ، فإذا لم يتوبوا فقد باءوا بغضب من الله ، وكم كان النبي ﷺ يحذر من الجدل اللفظي المقصود منه الغلبة ، وأما المقصود منه الوصول إلى الحق فذلك مشروع.

ومن الكياسة أن لا يتكاسل الإنسان وأن يظل نشيطاً دائب العمل ، وقد ذكر عند النبي ﷺ - كما ورد في الحديث المتفق عليه - رجل نام ذات ليلة حتى أصبح فقال ﷺ : " ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال في أذنه "[١٠٩] وطول النوم يعود الإنسان الكسل والقعود عن السعي ، وفي ذلك ضياع للمجهود. والربط بين مرضاة الله والمظهر الحسن كياسة ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"[١١٠] ويقول : " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "[١١١] وعن أم المؤمنين عائشة قالت : " كان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك "[١١٢]

وتعاليم الإسلام من غير استثناء يعقلها **الأكياس** من الناس، وبقدر كياستهم يدركون الخير الذي يكمن فيها ، ومن الكياسة البعد عن الكبر الذي قد يبعد صاحبه عن إدراك الحق ، أو يحمله على جحوده، وفي الحديث : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ". قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال : " إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" (١١٣)

ومن الكياسة أن يكون الإنسان يقظاً يميز بين الصدق والكذب ، فالتصديق بالكذب، كتكذيب الصدق وكلاهما خطر على صاحبه، وقد مر رسول الله ﷺ على بائع حنطة بلّها من داخلها كي تثقل في الميزان ، فوضع يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً، فقال ﷺ :" ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال : " أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني " (١١٤)

وليس من الكياسة أن يعرض الإنسان نفسه للسخرية منه فلا يعبأ بمظهره ، وقد حثا السنة إلى الاهتمام بكل ما يصون هيبته يقول النبي ﷺ :" إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال، ولينعلهما جميعاً أو ليخلعهما جميعاً " (١١٥) ويقول ﷺ : " لا يمش أحدكم في نعل واحدة ، لينعلها جميعاً ، أو ليخلعهما جميعاً "(١١٦)

ومن الكياسة أن لا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر، ولا يضع نفسه في مكان يتأذى منه الآخرون ، وليس منها أن يتراجع الإنسان عن هدفه لأنه تشاءم ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " لا طيرة وخيرها الفأل " قالوا : وما الفأل؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" (١١٧) ، ويقول أيضاً : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" (١١٨) ويقول أيضاً :" لا عدوى ولا طيرة ، والشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والدابة " (١١٩) وفي لفظ لمسلم " إن كان الشوم" ، وفي لفظ آخر " إن يكن من الشؤم شيء". قال الإمام النووي رحمه الله: "اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة : هو على ظاهره ، وأن الدار قد يجعل الله سكناها سبباً للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المُعيِّنة أو الفرس أو الخادم، وقد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ، ومعناه قد

يحصل الشؤم في هذه الثلاث كما صرح به في رواية : " إن يكن الشؤم في شيء" وقال الخطابي وكثيرون : " هو في معنى الاستثناء من الطيرة : أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها ، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع. ونحوه وطلاق المرأة، وقال آخرون : شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها ، وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يُغزى عليها، وقيل حرانها وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فُوِّض إليه ، وقيل المراد بالشؤم هنا: عدم الموافقة" [١٢٠]

وقال بعض العلماء: الأحاديث في الشؤم ثلاثة أقسام : **أحدها** : مالم يقع الضرر به ولا التأذي ولا اطّردت عادة به خاصة ولا عامة، لا نادرة ولا متكررة ، فهذا لا يُصْغَى إليه ، وقد أنكر الشرع الالتفات إليه ، وهو الطيرة، كلقي غراب في بعض الأسفار ، أو صراخ بومة في دار، وهذا الذي كانت العرب في الجاهلية تعتبره وتعمل عليه، مع أنه ليس في ذلك ما يشعر بالأذى ولا المكروه.

والثاني: ما يقع به الضرر، ولكنه يعم ولا يخص ، ويندر ولا يتكرر، كالوباء ، فهذا لا يُقدم عليه عملاً بالحزم والاحتياط ، ولا يخُرج منه ، ولا يفرُ منه لإمكان أن يكون قد وصل الضرر إلى الفار، فيكون سفره سبباً في محنته وتعجيلاً لهلكته،

والثالث : ما يخص ولا يعمُّ ويلحق به الضرر بطول الملازمة كالدار، الفرس ، والمرأة، فهذه الثلاثة يباح الفرار منها، واستبدالها بغيرها مما يناسب الإنسان، والتوكل على الله تعالى، والإعراض عما يقع في النفوس من ذلك من أفضل الأعمال والله أعلم. [١٢١]

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى : " اليُمنُ والشؤم سمتان لما يصيب الإنسان من الخير والشر، والنفع والضر، ولا يكون شيء من ذلك إلا بمشيئة الله وقضائه ، وإنما هذه الأشياء مَحَالٌ وظروف جعلت مواقع لأقضيته ، ليس لها بأنفسها وطباعها فعل ولا تأثير في شيء، إلا أنها لما كانت أعم الأشياء التي يقتنيها الناس، وكان الإنسان في غالب أحواله لا يستغني عن دار يسكنها، وزوجة يعاشرها وفرس يرتبطه ..وكان لا

يخلو من مكروه في زمانه ودهره، أضيف اليُمن والشؤم إليها إضافة مكان ومحل ، وهما صادران عن مشيئة الله سبحانه وتعالى "[١٢٢]

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله : " وقيل يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع" [١٢٣] قلت : وإذا حمل الشؤم على عدم الموافقة وسوء الطابع ، فمن الكياسة إذاً أن يستفيد الإنسان مما ذكر، ويختار المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني ، يقول النبي ﷺ :" أربع من السعادة، المرأة الصالحة، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيُّ ، وأربع من الشقاوة، الجار السوء ، والمرأة السوء ، والمسكن الضيق والمركب السوء" [١٢٤]

وهذه الأشياء لها أهمية عظمى في حياة الإنسان، فإن كانت الزوجة صالحة ، والدار صِحيَّة واسعة ،والفرس أو السيارة قوية مريحة ، والجار صالحاً، ارتاح الإنسان وشعر بالسعادة والاستقرار النفسي وتفرغ للدعوة إلى الله تعالى" [١٢٥]

والكياسة تفتح للإنسان أبواباً من الخير وتزيد من رزقه، من ذلك قول النبيﷺ عند البخاري:" بينما أيوب يغتسل عرياناً، خر عليه رِجْلُ جراد من ذهب فجعل يحثى في ثوبه فناداه ربه، يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ، قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك " [١٢٦]

وأحياناً تكون الحيطة في غير موضوعها ، ويروى أن أبا هريرة كان جنباً ، وأبى أن يجلس مع النبي ﷺ حتى يتطهر، وهذه حيطة لا داعي لها لذا فقد قال له النبي ﷺ : " أين كنت يا أبا هريرة " قال : كنت جنباً ، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة فقال : " سبحان الله إن المسلم لا يَنْجَسُ "[١٢٧]

والكياسة لازمة للمفتي ، ومن المعلوم أن الإسلام حرم التصوير الذي لا فائدة منه، ويروي أن ابن عباس قال لمن لا عمل له إلا التصوير - لما أخافه وعيد النبي ﷺ - فقال له ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعته يقول :" من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً " فربا الرجل ربوة شديدة ،

واصفر وجهه ، فقال: ويحك إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر ، كل شيء ليس فيه روح "[١٢٨]

والكياسة مطلوبة حتى في الدعاء فالكيس الذي يعزم المسألة وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل :" اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة وليعزم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه" [١٢٩] وفي رواية : " لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له". قلت والمراد بقوله " ليعزم" المراد بالعزم الشدة في طلبها ، والجزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قال ابن الجوزي : " اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوض بما هو عاجلاً أو آجلاً ، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض " [١٣٠]

وقال ابن بطال :" في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ، ويكون على رجاء الإجابة ، ولا يقنط من الرحمة ' فإنه يدعو كريماً ، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحداً الدعاء، ما يعلم في نفسه - يعني من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال : " رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" [١٣١]

وفي كل جزئية من مقررات الإسلام لا تخلوا من **كياسة**، ولذلك يقول النبي ﷺ : " من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه" [١٣٢]

والمؤمن مطالب **بالكياسة** مع حسن النية ، وقد توجد **الكياسة** فيفقدها سوء الطوية ، وقد صور لنا النبي ﷺ - في الحديث الذي أخرجه مسلم - بعض من رضي الله عنهم، وبعض من عمهم الله بسخطه فقال ﷺ : "...وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال، قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْر له، الذين هم فيكم تبعاً، لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك" وذكر البخل أو الكذب " والشِّنظير

الفحاش" [١٣٣] وعند البخاري ومسلم من حديث حارثة ابن وهب عن النبي ﷺ قال :" ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر" [١٣٤]

ومن الكياسة اختيار الصديق فإن له أثراً كبيراً، وفي ذلك يقول النبي ﷺ :" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك : إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة" [١٣٥] وقال ﷺ :" الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل " [١٣٦] وقال أيضاً : " لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي " [١٣٧]، قلت : فقد ظهر من هذه الأحاديث أهمية صحبة الأخيار، لأن صحبة الأخيار تزيد في العلم والفهم والتقوى، فينبغي للمرء المسلم العناية باختيار الصديق والصاحب والجليس الصالح، بناء على الأسس التي أشار إليها النبي ﷺ ، وقد ورد في الفتاوى :" من خالل مخلوقاً في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب، كما قال تعالى: {الْأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ} (٦٧) سورة الزخرف، وقال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} (١٦٦) سورة البقرة. قال الفضيل بن عياض : " حدثنا الليث عن مجاهد ـ هي المودات التي كانت بينهم لغير الله ، فإن المخالة تحاب وتواد ، لهذا قال : " المرء على دين خليله" فإن المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب ، فإذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغض الله ورسوله ، نقص من دينهما بحسب ذلك وإلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر، قال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ...} (١٦٥) سورة البقرة [١٣٨]

ويجب أن تكون الكياسة بين الزوجين ، فلا تحدث الزوجة زوجها عن امرأة أجنبية تصرف ذهن زوجها إلى تلك الأجنبية ، وتزهده في حليلته، وهكذا تعكر صفو

الحياة إن ضاعت الكياسة. وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها " (١٣٩)

وكلما كانت قيادة الرجل لعدد أكثر كانت **الكياسة** إليه ألزم ، ليضع الشيء في موضعه، فلا تنفر منه القلوب ، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص عند البخاري ومسلم : " أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً ، وسعد جالس ، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي ، فقلت يا رسول الله ، مالك عن فلاناً ؟ فوالله إني لأراه مؤمناً ، فقال : " أومسلماً" فسكت قليلاً ، ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي ، فقلت ، مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال : :أو مسلماً" ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي ، وعاد رسول الله ﷺ ، ثم قال : " يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يكبه الله في النار" (١٤٠)

ومن الكياسة أيضاً تشجيع المؤمنين الأقوياء كما شجع النبي ﷺ عمر عندما قال له :" إيْهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك" (١٤١) ويشتد تلاعب الشيطان بالإنسان كلما قلت **كياسته**، فسكر، أو غضب ، أو بخل بما لا يؤثر عليه، ومن الناس من يفقدون دينهم لشهوة عارضة ويرتكبون مالا يحل ، وهذا العمل لا **كياسة** فيه وإنذار بفناتهم ولذلك نهي النبي ﷺ عن الخمر وعن أوعيتها التي توضع فيها، تقول ربيبة النبي ﷺ: " نهى رسول الله ﷺ عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت" (١٤٢)

ومن الكياسة الثورة على كل تقليد غير مفيد، فلقد اشتهر أهل الجاهلية بطول الثياب تعبيراً عن الثراء فجاء الإسلام يقرر : " ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار" (١٤٣) ويقرر :" أنهكوا الشوارب واعفوا اللحى " (١٤٤) وفي رواية لمسلم : " احفوا الشوارب، واعفوا اللحى" وفي رواية :" خالفوا المشركين احفوا الشوارب وأوفوا اللحى" وفي حديث أبي هريرة " جزوا الشوارب ، وأرخوا اللحى خالفوا المجوس" (١٤٥)، وقد ثبت أنه ﷺ نهى عن القزع ، من ذلك حديث ابن عمر أنه ﷺ : " نهى عن القزع " (١٤٦) وفي

رواية قال ـ القائل ـ عبيد الله بن حفص ـ قلت : وما القزع ؟ فأشار لنا عبيد الله قال : إذا حلق الصبي وترك ها هنا شعرة ، وها هنا ، وها هنا "

ولكي نتجنب شرور التقليد الذي يفقدنا شخصيتنا ويضيع **كياستنا** أمرنا ألا نقلد ، يقول النبي ﷺ " إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" (١٤٧)

ومن الكياسة أن تطلب تأييد الحق بأي مؤيد ولو كان فاجراً ، إن الله عز وجل قد يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وقد جاء ذلك صريحاً من قول النبي ﷺ ، من رواية أبي هريرة ﷺ أنه قال: " شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام :" هذا من أهل النار" فلما حضر القتال، قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل : يا رسول الله ، الذي قلت له إنه من أهل النار، فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات ، فقال النبي ﷺ : " إلى النار " قال فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك، إذ قيل:إنه لم يمت ، ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل، لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : " الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله" ثم أمر بلالاً فنادى بالناس : " إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" (١٤٨)

قال الحافظ ابن حجر : " الله يؤيد دينه بالفاجر وفجوره على نفسه " (١٤٩)

ومن الكياسة أن لا يغتر الإنسان بعمله، ولا يغرنَّ أحداً كياسته، فلابد أن يضاف إليها الخوف من الله، وهذه قضية مهمة ينبغي للكيس أن يهتم بها، ويوجه الناس إلى الحذر منها : أي عدم الاغترار بالأعمال، ولهذا عندما قَتَلَ الرجل نفسه أعظم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ، لأنهم نظروا إلى شجاعته وقتاله العظيم ، ولم يعرفوا الباطن ولا المآل، فأعلم الله العليم الخبير النبي ﷺ بعاقبة هذا الرجل، لسوء مقصده وخبث نيته،

قال الإمام القرطبي رحمه الله - عند ذكره لفوائد هذا الحديث - : " فيه التنبيه على ترك الاعتماد على الأعمال، والتعويل على فضل ذي العزة والجلال" [١٥٠]

وقال الإمام النووي : " فيه التحذير من الاغترار بالأعمال، وأنه ينبغي للعبد أن لا يتكل عليها، ولا يركن إليها ، مخافة انقلاب الحال للقدر السابق، وكذا ينبغي للعاصي أن لا يقنط ، ولغيره أن لا يقنطه من رحمة الله " [١٥١] ، ولهذا قال النبي ﷺ : " سددوا وقاربوا، وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عملُهُ " قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل" [١٥٢]، وقد مدح الله الخائفين على أعمالهم الصالحة، يخشون أن لا تقبل منهم، فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (٦٠) سورة المؤمنون، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال : " لا يا بنت أبي بكر " أو يا بنت الصديق" ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، ويخاف أن لا يتقبل منه" [١٥٣]

ولقد كانت مجالس النبي ﷺ يستنبط فيها كياسة السائل أو غفلته، من ذلك حديث أنس عند مسلم قال: " سألت امرأة رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل في منامه" فقال : " إذا كان منها ما يكون من الرجل فلتغتسل" [١٥٤] من ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : " جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله : إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : " نعم إذا رأت الماء" فقالت أم سلمة : يا رسول الله ! وتحتلم المرأة ؟ فقال: تربت يداك فبم يشبهها ولدها" [١٥٥]

ومن ذلك أيضاً حديث أنس عند البخاري ومسلم: أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال : " أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة" [١٥٦]

وأنظر إلى **كياسة** النبي ﷺ حين قدم عليه وفد، فأدرك بفطنته ما تنطوي عليه نفوسهم فقال ﷺ : أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم " (١٥٧)

وفي قصة السائل عمن وجد مع امرأته أجنبياً دليل على **الكياسة** من ذلك حديث سهل بن سعد ، وابن عباس وابن عمر " أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رجلاً رأى مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه ، أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن ، فقال له رسول الله ﷺ : " قد قضي فيك وفي امرأتك" . قال فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ ، ففارقها، فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين ، وكانت حاملاً، فأنكر حملها ، وكان ابنها يدعى إليها ، ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ، ما فرض الله لها" (١٥٨)

وانظر كيف يطالب الإسلام بالكياسة في تصريف المال، يقول أبو ذر : انتهيت إليه - يعني النبي ﷺ - وهو في ظل الكعبة يقول : " هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة" قلت ما شأني أيرى فيَّ شيء ، ما شأني ؟ فجلست إليه وهو يقول ، فما استطعت أن أسكت وتغشاني ما شاء الله، فقلت من هم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : " الأكثرون أموالاً ، إلا من قال: هكذا، وهكذا، وهكذا " (١٥٩) زاد مسلم " وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يُقضى بين الناس"

والكياسة في الرجل أكثر من المرأة ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " كَمَلَ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (١٦٠)

ويقول ﷺ : " فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني" [١٦١] ويقول النبي ﷺ : " خير نسائها مريم ، وخير نسائها خديجة" [١٦٢]

ولقد كان النبي ﷺ يقيسنا على من تقدمنا من الأمم، ويحذرنا ويكل كل إنسان إلى **كياسته**، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه " قلنا يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن " [١٦٣]

والأنبياء هم أكيس الخلق وأكملهم ، ومن ذلك حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ قال : " رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له : أسرقت ؟ قال كلا ، والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني " [١٦٤]

وبعد

فهذه بعض مظاهر الإسلام الذي يدعونا إلى اليقظة والإحساس بالمسئولية، وتحمل تبعاتها والتغلب على الصعاب من غير يأس والأخذ بالأسباب، وكل هذه من معاني القوة التي يعبر عنها في الإسلام بالكياسة.

ويوم أن ينسى المسلمون هذه المقررات التي عشنا معها خلال هذا البحث ـ فستحل بالأمة الغفلة والضعف والتواكل التي هي من مظاهر العجز، الذي يحاربه الإسلام ويقابل بينه وبين الكياسة كما مر بنا أثناء البحث " والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني "

ويوم أن يفقه المسلمون هذه المقررات ، فستدوم لهم الكلمة وتحق لهم السيادة والريادة، ويكون كل شيء نافعاً في الدنيا من نصيبهم.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ،وأن يجعلنا من الأكياس الذين يستنبطون من ألفاظ النبي ﷺ عمق المعاني الكثيرة وأن يوفقنا على حسن الفهم والتفهم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا الأمين وعلى آله وصحابته أجمعين.

الخاتمة وتتضمن نتائج البحث

- خلص البحث إلى أن من أهم مظاهر عناية المحدثين بفقه الحديث، اهتمامهم الواسع بالآثار السلفية، آثار الصحابة والتابعين، جمعاً وترتيباً وتبويباً، لأنها تمثل الوعاء الحقيقي لفقه الصحابة والتابعين وفهمهم لأبواب الدين عقيدة وشريعة.

- كشف البحث أن فقه الحديث كان يمثل جانباً مهماً وجوهرياً من صناعة المحدثين، لا يقل أهمية عن الصناعة الحديثية الاسنادية.

- توصل البحث إلى أن أحسن منهج في فقه الحديث النبوي وفهمه، هو دراسة وتدريس كتبهم هذه، فيتعلم المسلم الوحي وفقهه، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم: "ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ الحديث مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل عليه في أحسن بيان" (١٦٥).

- كشف البحث عن أن النبي ﷺ كان من أساليبه المثلى في التعليم- التفقه في الدين، وفهم الحديث وتفهيمه تفهيما.

- خلص البحث إلى أن معرفة فقه الحديث على الوجه الصحيح لا يمكن أن يتم إلا بعد الاطلاع الواسع على الأحاديث النبوية، وجرد أمهات كتب أحاديث الأحكام الدالة على الحلال والحرام.

- توصل البحث إلى أن الكيس هو من ينتفع بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وهو من ينتفع بوقته، وينتفع بما عنده، ولا يستهين بشيء وهو الذي ينتفع بكل خير ويتمتع بالاستعداد لتقبله، وهو من جعل الآخرة أكبر همة ومنتهى أمله، وجعل الدنيا وسيلة إليها.

- كشف البحث أن الكياسة واضحة فيما يغفل عنه الكثير، وأن تعاليم الإسلام من غير استثناء يعقلها الأكياس من الناس وبقدر كياستهم يدركون الخير الذي يكمن فيها.

- خلص البحث إلى أن الأنبياء عليهم السلام – هم أكيس الخلق وأكملهم.

- أولى الناس بالكياسة أئمة المسلمين، كما أن الكياسة لازمة للمفتي.
- خلص البحث إلى أن المسلم مطالب بالكياسة مع حسن النية.
- خلص البحث إلى أن تعاليم الإسلام – كلها صغيرها وكبيرها – لا تخلو من كياسة.
- يشتد تلاعب الشيطان بالإنسان كلما قلت كياسته.
- الإنسان مسئول عن تنفيذ حكم الخالق – سبحانه وتعالى – في خلقه، وهذه المسئولية تتطلب من صاحبها القوة البدنية والعقلية والروحية والكفاءة الإدارية – لذا كان لزاماً على الإنسان أن يتصف بهذه الصفات الأساسية ليكون قادراً على تأدية مسئوليته وواجبه بطريقة صحيحة – هذا الذي عبر عنه بالكياسة.

التوصيات

أوصي نفسي وزملائي والباحثين وطلاب العلم أن يعوصوا في أعماق كتب السنة النبوية ليرتشفوا من معينها الصافي وليخرجوا للناس درر كلامه ﷺ، لأنها الشمس الساطعة، والمشعل الوضاء، والنور المتألق الذي يبدد ظلمات الانحرافات العقدية والسلوكية والاجتماعية ونحوها،

كما أوصي الجميع بالوصل بين الحديث والفقه، وبين الحفظ والفهم، وبين الرواية والدراية، في مناهجنا وبرامجنا، لأن حلية طالب العلم المشتغل بعلوم الشرع أن يأخذ بكلا الأمرين الحديث والفقه،

وختام وصيتي، تقوى الله فإن تقوى الله سبحانه تنير طريق الهداية، ويبدد نورها ظلمات الجهل والغواية، ومن رزق التقوى، وفق للفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) الأنفال آية ٩، ويقول عز وجل: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) نسأل الله أن يجعلنا من المتقين وكما قيل: ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين.

وصلى الله وسلم على البشير النذير والسراج المنير، وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعه بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

الهوامش

١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥١٨/١٠).

٢) أورده الخطيب في تاريخ بغداد (٤٢٠/١٢) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء(٤٩٩/١٠).

٣) وحي القلم (١٧/٣).

٤) صحيح البخاري برقم (٢٩٧٧) و (٦٩٩٨) ومسلم برقم (٥٢٣).

٥) أنظر الروائع والبدائع في البيان النبوي (ص ٤٧).

٦) من روائع الأدب النبوي (ص ١٣٢).

٧) دراسة أدبية لأحاديث نبوية مختارة (ص ٢٧).

٨) انظر البيان والتبيين (٨/٢) بتصرف.

٩) كتاب الروح ص ٩١، ٩٢ . القدرية : كل من خاض في القدر وخالف نصوص الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة في ذلك. انظر كتاب (القدرية والمرجئة لناصر العقل ص ١٩) ، (وشرح العقيد الطحاوية ٧٩٧/٢) أما الخوارج : فهم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه . (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١٣٢/١) ، أما المرجئة فهم : كل من أخر العمل عن الإيمان أو كل من أخرج العمل من الإيمان . (انظر الملل والنحل ١٦١/١) أما المعتزلة فهم : من يعتقدون نفي صفات الله تعالى الأزلية وعدم إثباتها وأن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزاة بين المنزلتين وفي الآخرة خالد مخلد في النار . (انظر مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١) ، أما الجهمية : فهو غلاط المرجئة أتباع الجهم بن صفوان القائل : " إن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله وسائر أعمال القلوب والجوار فليس بإيمان ، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به. (انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٨). أما الرافضة :

كل شيعي يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويرفض إمامتهما ويقدم عليّ في الإمامة والفضل (انظر الملل والنحل ١٨١/١)

١٠) انظر الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث ص (٩١).

١١) معرفة علوم الحديث ص (٦٣، ٥٨).

١٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص٣٢٠ رقم ٢٢٢- وسير أعلام النبلاء (٤٨/١١)

١٣) انظر الحديث الشريف وتحديات العصر ١٩٢/١ - مظاهر عناية المحدثين بفقه الحديث.

١٤) كتاب رفع اليدين في الصلاة(ص ١٠٥).

١٥) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٥٣٧) بإسناد صحيح.

١٦) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث (ص ٤١٣- ٤١٦ بتصرف).

١٧) أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية ﷺ البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

١٨) الترغيب والترهيب (٨٦/١) ومجمع الزوائد(١٦٤/١) والدر المنثور(٣٠١/٢).

١٩) جامع بيان العلم وفضله (٥٧٨/١)، وسنن الترمذي برقم (٢٦٥٠- ٢٦٥١) أبواب العلم وشرح السنة ٢٨٦/١.

٢٠) انظر القاموس المحيط للفيروزأبادى مادة (فقه) ط السادسة مؤسسة : الرسالة ١٩٩٨م.

٢١) سبق تخريجه.

٢٢) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان (٧٦٢/٢) رقم (١٦١٠).

٢٣) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة (١٤٩/١)

٢٤) أصل الحديث أخرجه البخاري في العلم برقم (٧٩) باب فضل من عَلِمَ وعلَّم وأخرجه مسلم برقم (٢٢٨٢).

٢٥) جامع بيان العلم وفضله (٦٩٥/١).

٢٦) المصدر السابق (١١٤٤/٢).

٢٧) تذكرة الحفاظ ص ٧٧٦ ـ مصورة ـ بيروت ١٣٧٥ ط حيدر أباد الدين .

٢٨) ترتيب المدارك ١٢٤/١ ـ ١٢٥ ، تحقيق ابن تاويت الطنجي ١٣٨٣هـ

٢٩) المحدث الفاصل (ص ٢٤٢).

٣٠) ترتيب المدارك (٤٢٧/٢).

٣١) ترتيب المدارك (٩٦/١).

٣٢) الصلة لابن بشكوال (٤٢٩/٢) رقم الترجمة (٩٢٠) طبع مصر سلسلة تراثنا.

٣٣) الكفاية في علم الرواية (ص ٤٣٦).

٣٤) الجامع لأخلاق الراوي والسامع (١٠٩/٢).

٣٥) المحدث الفاصل (ص ٣١٨).

٣٦) المحدث الفاصل (ص ١٦٠ـ ١٦١).

٣٧) المصدر السابق (ص ٥٥٨).

٣٨) جامع بيان العلم (١٠٠٨/٢ ـ ١٠١٣).

٣٩) المصدر السابق(١٠٢٠/٢).

٤٠) المصدر السابق (١٠٣٥/٢).

٤١) صيد الخاطر (ص ٢٧٩) .

٤٢) المصدر السابق (٣٧٩).

٤٣) المصدر السابق (٢٢٧).

٤٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة(ص ٧٦ـ ٧٧)دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤٠٥هـ .

٤٥) تلبيس ابليس لابن الجوزي(ص ١١٤ ـ ١١٥) ط دار الكتب العلمية.

٤٦) الكفاية في علم الرواية ص ٣، وانظر الحديث الشريف وتحديات العصر (ص ٣٤٩).

٤٧) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٧) أبواب القيامة، وابن ماجه ١٤٢٣/٢ برقم (٤٢٦٠) وفيه ثم تمنى على الله . كتاب الزهد ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، والحاكم ٥٧/١ ، ٢٥١/٤ .

٤٨) تقدم برقم (٤٧).

٤٩) أخرجه ابن ماجه ١٤٢٣/٢ برقم (٤٢٦٠) كتاب الزهد وفي سنده مجهول.

٥٠) أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري برقم (٥٢٤٦) في النكاح ومسلم برقم (٧١٥) الرضاع

٥١) أخرجه مسلم برقم (١٥٩٩) كتاب المساقاه ، باب بيع البعير واستثناء ركوبه.

٥٢) أخرجه البخاري برقم (٥٣٥٥) كتاب النفقات باب وجوب النفقة على الأهل والعيال . ضمن حديث طويل وفي آخر الحديث . قالوا يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال لا . هذا من كيس أبي هريرة.

٥٣) لسان العرب ٢٠١/٥ ، ٢٠٢ ، كيس ، والنهاية في غريب الحديث (٢١٧/٤) كيس.

٥٤) أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٤١٢) الصحة والفراغ، فتح الباري ٢٢٩/١١ ، عارضة الأحوذي ١٨١/٩ دليل الفالحين ٣٠٧/١ ، المرقاة شرح المشكاة ١٥/٥ ، فيض القدير ٢٨٨/٦ .

٥٥) انظر قطوف من رياض السنة ص ٤٦/٤٥ .

٥٦) متفق عليه . البخاري برقم (٧٩) كتاب العلم ، ومسلم برقم (٢٢٨٢) وانظر الفتح ١٧٥/١ ، وعمدة القارئ ٧٦/٢ ، والنووي على مسلم ٤٦/١٥ كتاب الفضائل، ودليل الفالحين ٤٢١/١ .

٥٧) قطوف من رياض السنة (ص ٢٢).

٥٨) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (١٤٢٢/٢) .

٥٩) أخرجه البخاري في أماكن متفرقة في أحد عشر موضعاً في صحيحه ورواه مسلم في صحيحه من خمس طرق انظر صحيح البخاري رقم ٦١، ٧٢ ، وانظر صحيح مسلم برقم (٢٨١١)

٦٠) انظر الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ص(١٠٧ ـ ١٠٨).

٦١) أخرجه البخاري برقم (١٤٣) كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء ، ومسلم برقم (٢٤٧٧) فضائل الصحابة، وصحيح البخاري برقم (٣٧٥٦) وفيه اللهم علمه الحكمة.

٦٢) انظر التراتيب الإدارية ٢٣٢/٢ ، وأنظر الرسول المعلم ص ١٠٧ـ ١٠٩ .

٦٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٦) البر والصلة ـ استحباب طلاقة الوجه، والمسند (٦٣/٥) .

٦٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٢١) كتاب الأدب باب كل معروف صدقة.

٦٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨) الرقاق ـ حفظ اللسان ، وأخرجه مسلم مختصراً برقم ٢٩٨٨ .

٦٦) أخرجه ابن ماجه ١٣٧٥/٢ برقم (٤١٠٥) وأخرجه ابن حبان برقم (٧٢) موارد وسنده صحيح .

٦٧) أخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٦ ، وصححه ووافقه الذهبي.

٦٨) أخرجه الحاكم وصححه ووافق عليه الذهبي ٥٤٠/٤ ، وأخرجه ابن ماجه ١٣٣٢/٢ برقم (٤٠١٩) .

٦٩) أخرجه النسائي ٢٥٨/١ ، والترمذي ٥٠/٢ ، وابن ماجة ٤٢٥٨/٢ ، وابن حبان برقم (٢٥٥٩ – ٢٥٦٢) والحاكم ٣٢١/٤ .

٧٠) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٢) الذكر والدعاء.

٧١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٦) النكاح ، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

٧٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٨٣) الأنبياء، ومسلم برقم (٢٦٣٨) البر والصلة والآداب.

٧٣) انظر قطوف من رياض السنة ص ١٣٦ وما بعدها بتصرف.

٧٤) صحيح البخاري برقم (٥٧٥٢) الطب ، ومسلم برقم (٢٢٠) الإيمان.

٧٥) متفق عليه، صحيح البخاري برقم (٨٩٣ ، ٢٤٠٩ ، ٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).

٧٦) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٩) كتاب الأمارة.

٧٧) انظر قطوف من رياض السنة (ص ٢٦١) وما بعدها بتصرف.

٧٨) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) كتاب القدر. الأمر بالقوة وانظر شرح النووي ٢١٥/١٦.

٧٩) شرح النووي على مسلم (٢١٥/١٦) .

٨٠) سبق تخريجه برقم (٤٧).

٨١) بهجة قلوب الأبرار ص ٤٢ـ ٤٤ بتصرف ، وأنظر دراسات تربوية في الأحاديث النبوية (ص ٧٧) .

٨٢) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٣) كتاب التفسير باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"

٨٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني مادة (وكل) ص٨٨٢ ، والنهاية ٢٢١/٥ .

٨٤) مدارج السالكين (١١٨/٢ ـ ١٢٠) وانظر فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (٢٢١/١).

٨٥) أخرجه الترمذي ٦٦٨/٤ برقم (٢٥١٧) كتاب القيامة ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٩/٢).

٨٦) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٩) كتاب الرقاق ـ باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.

٨٧) أخرجه الترمذي ٦١٢/٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة برقم (٢٤١٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب للمنذري ص ٥٤ برقم ١٢٢ وانظر الترغيب والترهيب ١٧٠/١ ، و٢٩٩/٤.

٨٨) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦) الجهاد والسير ـ باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة.

٨٩) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٢) الرقاق ـ الصحة والفراغ.

٩٠) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣٠٦/٤، ورواه ابن المبارك في الزهد ١٠٤/١ برقم (٢) وقال ابن حجر في الفتح ٢٣٥/١١ سنده صحيح من مرسل عمرو بن ميمون، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ٣٥٥ برقم ١٠٨٨.

٩١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ٢٢٧/٣.

٩٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٣) الرقاق ـ الأعمال بالخواتيم ضمن حديث طويل.

٩٣) أخرجه ابن حبان برقم (١٨١٨) مورد الظمآن وأخرجه ابن ماجة برقم (٤١٩٩) والإمام أحمد ٩٤/٤ وأبو يعلى برقم ٧٣٦٢.

٩٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٨) كتاب الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

٩٥) أخرجه البخاري برقم (١٢٦٥) كتاب الجنائز ، ومسلم برقم (١٢٠٦) كتاب الحج.

٩٦) فتح الباري ١٦٣/٣ .

٩٧) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٨) كتاب الجهاد والسير باب السير وحده .

٩٨) أخرجه البخاري برقم (٦٢٩٣) الاستئذان، ومسلم برقم (٢٠١٥) متفق عليه.

٩٩) أخرجه البخاري برقم (٦٢٩٥) الاستئذان ، ومسلم برقم (٢٠١٢) كتاب الأشربة.

١٠٠) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) و (٦٤٧٦) .

١٠١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٠١) وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعه وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٩/٢، ١٧٧ ، والدارمي ٢٩٩/٢ .

١٠٢) فتح الباري ١٠/ ٤٦٩ .

١٠٣) لسان العرب ٢١/٣ .

١٠٤) تفسير ابن كثير (٣٢٩/٤).

١٠٥) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨) ومسلم برقم (٢٩٨٨).

١٠٦) أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٢) كتاب الأدب ، ومسلم برقم (٢٥٩١) البر والصلة.

١٠٧) انظر فتح الباري ٤٦٧/١٠ ، ٢٦٤/١٣ ـ ٢٧٢ ، وانظر محاضرات في الحديث التحليلي ص٢٣ .

١٠٨) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٧، ٤٥٢٣) ومسلم برقم (٢٦٦٨) .

١٠٩) أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٠) و(١١٤٤) ومسلم برقم (٧٧٤).

١١٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٧/٦ ، ١٢٤ ، ١٤٦/٦ ، والدرامي ١٧٤/١ ، وابن حبان مورد برقم ١٤٢ والنسائي ١٠/١ وهو حديث صحيح.

١١١) متفق عليه البخاري برقم (٨٨٧) ومسلم برقم (٢٥٢).

١١٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣) .

١١٣) أخرجه مسلم برقم (٩١) تحريم الكبر ، وبيانه ، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٩١) في الأدب ، والترمذي برقم (١٩٩٩) في البر والصلة.

١١٤) أخرجه مسلم برقم (١٠٢) الإيمان ـ من غشنا فليس منا وانظر أيضاً (١٠١).

١١٥) أخرجه البخاري برقم (٥٨٥٦) ومسلم برقم (٢٠٩٧).

١١٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨٥٥) ومسلم برقم (٢٠٩٧).

١١٧) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٤) و (٥٧٥٥) ومسلم برقم (٢٢٢٣).

١١٨) أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٧) ومسلم برقم (٢٢٢٠) .

١١٩) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٣) ومسلم برقم (٢٢٢٥) .

١٢٠) شرح النووي على مسلم ٤٧٢/١٤ ، وانظر الاستذكار لابن عبد البر ٢٢٨/٢٧ وعارضة الأحوذي ٤٢٤/٥.

١٢١) انظر مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٩/٢ ، وشرح السنة للبغوي ١٣/٩ ، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ،وشرح النووي على مسلم ٤٧٣/١٤.

١٢٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ١٣٧٩/٢ بتصرف يسير ، وانظر شرح السنة ١٤/٩ ، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٢٦١/٧ .

١٢٣) فتح الباري ٦٣/٦ .

١٢٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٤٠/٩ ، برقم (٤٠٣٢) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٠٦/١ برقم ١١٦ ، انظر صحيح الأدب المفرد للألباني ص ٦٨.

١٢٥) انظر منار القارئ في شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم (١٠١/٤).

١٢٦) أخرجه البخاري برقم (٣٣٩١) أحاديث الأنبياء - باب قوله تعالى " وأبواب إذ نادى ربه"

١٢٧) أخرجه البخاري برقم (٢٨٣، ٢٨٥) ومسلم برقم (٣٧١) المسلم لا ينجس.

١٢٨) أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٥) بيع التصاوير ، ومسلم برقم (٢١١٠) اللباس والزينة.

١٢٩) أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٩، ٧٤٧٧) ومسلم برقم (٢٦٧٩).

١٣٠) فتح الباري ١٤٥/١١ .

١٣١) المرجع السابق.

١٣٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٦) و (٦٧٠٠) الإيمان والنذور.

١٣٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة ـ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

١٣٤) أخرجه البخاري برقم (٤٩١٨) ،(٦٠٧١) ومسلم برقم (٢٨٥٣) ـ متفق عليه.

١٣٥) أخرجه البخاري برقم (٢١٠١، ٥٥٣٤) ومسلم برقم (٢٦٢٨) متفق عليه.

١٣٦) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ٢٥٩/٤ برقم (٢٥٩) كتاب الأدب، والترمذي ٥٨٩/٤ برقم ٢٣٧٨ كتاب الزهد وقال حسن صحيح.

١٣٧) أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد ٢٥٩/٤ برقم (٤٨٣٢) والترمذي ٦٠١/٤ برقم (٢٣٩٥) وقال هذا حديث حسن.

١٣٨) فتاوى ابن تيمية جـ٧ ص ٧٤ كتاب الإيمان ، وانظر دراسات في الأحاديث النبوية ص٣٥ .

١٣٩) أخرجه البخاري برقم (٥٢٤٠، ٥٢٤١) النكاح ـ لا تباشر المرأة المرأة.

١٤٠) متفق عليه ، وأخرجه البخاري برقم (٢٧) ومسلم برقم (١٥٠).

١٤١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٣) ضمن حديث طويل ، وأخرجه مسلم برقم(٢٣٩٦) متفق عليه.

١٤٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٩١) كتاب المناقب.

١٤٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٧) اللباس باب ما أسفل الكعبين فهو في النار .

١٤٤) أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢) ، (٥٨٩٣) ومسلم برقم (٢٥٩).

١٤٥) أخرجه مسلم برقم (٢٦٠) خصال الفطرة.

١٤٦) أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٠، ٥٩٢١) ومسلم برقم (٢١٢٠) متفق عليه.

١٤٧) أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٩) ومسلم برقم (٢١٠٣) متفق عليه.

١٤٨) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٨) ومسلم برقم (١١١).

١٤٩) فتح الباري ١٧٩/٦ ، وانظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣٢٠/١، وعمدة القارئ للعينى ١٨١/١٤.

١٥٠) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٨٦/٢.

١٥١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨٦/٢.

١٥٢) متفق عليه من حيث عائشة رضي الله عنها ، وصحيح البخاري برقم (٦٤٦٤) ومسلم برقم ٢٨١٨ .

١٥٣) سنن ابن ماجه ١٤٠٤/٢ رقم (٤١٩٨) كتاب الزهد باب التوقي في العمل، والترمذي ٣٢٧/٥ برقم (٣١٧٥) تفسير سورة المؤمنون.

١٥٤) أخرجه مسلم برقم (٣١٢) كتاب الحيض - وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

١٥٥) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (١٣٠) وصحيح مسلم برقم (٣١٣).

١٥٦) متفق عليه ، صحيح البخاري برقم (٦٥٢٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٦).

١٥٧) أخرجه البخاري برقم (٤٣٨٨) وأخرجه مسلم برقم (٥٢).

١٥٨) أخرجه البخاري برقم (٤٧٤٦) و (٤٧٤٧)و (٤٧٤٨) ومسلم برقم (١٤٩٢).

١٥٩) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٨) ومسلم برقم (٩٩٠) مطولاً.

١٦٠) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٨) ومسلم برقم (٢٤٣١) متفق عليه

١٦١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٧) ومسلم برقم (٢٤٤٩).

١٦٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨١٥) ومسلم برقم (٢٤٣٠).

١٦٣) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦) ومسلم برقم (٢٦٦٩).

١٦٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٤) ومسلم برقم (٢٣٦٨).

١٦٥) إعلام الموقعين ١٧٠/٤ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث خلال القرن الثالث الهجرى د. عبد المجيد محمود عبد المجيد – دار الوفاء – القاهرة ١٣٩٩هـ.
- الاستذكار لابن عبد البر أبو عمر – تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي – دار قتيبة ١٩٩٣م.
- الأدب المفرد لأبي عبدالله البخاري مع شرحه فضل الله الصمد المطبعه السلفية القاهرة ١٩٨٨م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان الخطابي – ط الأولى مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة جامعة أم القرى.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم – تحقيق محي الدين عبد الحميد – دار الفكر بيروت.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط الثانية ١٤٠٨، مكتبة السندس – الكويت.
- بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة الأندلسي – تحقيق د. بكري أمين طه، ط الأولى – دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٧م.
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن محبوب الجاحظ مطبعة الجمالية ١٣٣٢هـ.
- تاريخ بغداد – للخطيب البغدادي – مصورة المكتبة السلفية – المدينة المنورة.
- تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة الدينوري – دار الكتاب العربي بيروت.
- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي – مصورة – بيروت ١٣٧٥ – لطبعة حيدرأباد.
- التراتيب الادارية – عبد الحي الكتاني.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض بتحقيق ابن تاوت الطنجي ١٣٨٣هـ.

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام المنذري –ط الثانية ١٤١٧هـ دار ابن كثير.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير – ط –دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ
- تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي – ط دار الكتب العلمية بيروت
- جامع بيان العلم وفضله للإمام ابن عبد البر – تحقيق أبي الأشبال الزهيري – دار ابن الجوزي ط الرابعة ١٤١٩ السعودية.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي – تحقيق شعيب الأرناؤوط – دار الهدى الجزائر ط الأولى ١٤١١.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – للخطيب البغدادي – تحقيق محمود الطحان مكتبة المعارف – الرياض السعودية ١٤٠٣هـ.
- الجامع لأحكام القرآن – للإمام القرطبي – دار الفكر بيروت – ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- الحديث الشريف وتحديات العصر – ندوة علمية دولية ثانية عقدت بدبي ١٤٠٦هـ.
- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية – لمحمد لقمان الأعظمي الندوى – مكتبة العبيكان الرياض – ط الأولى ١٤١٧هـ.
- دراسة أدبيه لأحاديث نبوية مختارة . موسى سلامة كامل الدقس – دار الشروق جدة ط الثالثة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي – دار الفكر ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد بن علان الشافعي ط الثالثة – دار الفكر.

- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ط الثالثة ١٤٢٤هـ - دار البشائر الإسلامية بيروت.
- الروائع والبدائع في البيان النبوي – محمد نعمان الدين الندوى ط الأولى ١٤٢٠هـ دار الشهاب – بيروت.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء – للإمام ابن القيم تحقيق بسام علي ط الأولى – ١٤٠٦هـ - دار ابن تيمية.
- زاد المعاد في هدي خير العباد - للإمام ابن القيم- تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط –ط الأولى مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ.
- الزهد والرقائق لعبدالله بن المبارك –تحقيق أحمد فريد ط الأولى ١٤١٥هـ دار المعراج الرياض –السعودية.
- السنن للأمام أبي داود السجستاني –ط الأولى دار ابن حزم ١٤١٩هـ.
- السنن للإمام أبي عيسى الترمذي –تحقيق أحمد محمد شاكر- ط الثانية – دار عمران- بيروت.
- السنن للإمام أحمد بن شعيب النسائي –دار الكتاب العربي بيروت.
- السنن للإمام الدارمي –ط١٤٠٤هـ- تحقيق عبدالله هاشم اليماني –الرئاسة العامة لإدارة البحوث.
- السنن الكبرى –للإمام البيهقي- دار المعرفة بيروت- بدون تاريخ.
- السنن للإمام محمد بن يزيد القزويني –ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العلمية.
- سير أعلام النبلاء للامام الذهبى –ط الحادية عشرة ١٤١٧- مؤسسة الرسالة.
- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للشيخ ابن عثيمين –تحقيق عبدالله الطيار ط الأولى ١٤١٥ – دار الوطن – الرياض- السعودية.
- شرح صحيح مسلم للأمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي ط –دار القلم- .

- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح – شرف الدين عبدالله بن محمد الطيبي ط الأولى مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض.
- شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي – تحقيق شعيب الأرناؤوط ط الأولى موسعة الرسالة ١٤١٥هـ.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري –للشيخ الألباني ط الثانية –دار الصديق –الجبيل.
- صحيح البخاري للإمام البخاري – ط بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني ط الأولى ١٤٠٢هـ المكتب الإسلامي بيروت.
- صحيح جامع الترمذي للشيخ الألباني ط الأولى ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي بيروت.
- صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني ط الأولى ١٣٨٨هـ المكتب الإسلامي بيروت.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج ط بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ.
- الصلة لابن بشكوال –ط مصر- سلسلة تراثنا.
- صيد الخاطر لابن الجوزي –تحقيق محمد عبد الرحمن عوض – ط الأولى ١٤١٧هـ - دار الكتاب العربي.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري لبدر الدين أبي محمد العيني –دار احياء التراث العربي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي مكتبة الرياض – السعودية.
- فقه الدعوة في صحيح البخاري –سعيد بن وهف القحطاني وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف ١٤٢١هـ.
- الفقيه والمتفقه –للخطيب البغدادي –دار ابن الجوزي ١٤١٧- الرياض.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبدالرءووف المناوي –دار المعرفة بيروت.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي – ط السادسة مؤسسة الرسالة ١٩٩٨م.
- قطوف من رياض السنة – د. صالح أحمد رضا- ط الثانية ١٩٩٠م دار القلم – دمشق.
- كتاب رفع اليدين في الصلاة للإمام البخاري – ط دار ابن حزم بيروت ١٤١٦هـ.
- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي – ط دار الكتب العلميه بيروت.
- لسان العرب لابن منظور الإفريقي – ط الثانية- دار إحياء التراث العربي بيروت.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان –محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة الإسلامية تركيا.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي – ط الثالثة ١٤٠٢هـ- دار الكتاب العربي بيروت.
- مجموع فتاوي ابن تيمية – توزيع الرئاسة العامة الإدارات البحوث العلمية والإفتاء.
- محاضرات في الحديث التحليلي – د. أبولبابة حسين ط الأولى – دار الغرب الإسلامي ١٤٢٥هـ.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي – للرامهرمزي – تحقيق محمد عجاج الخطيب –ط الثالثة- دار الفكر ١٤٠٤هـ.
- مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين للأمام ابن القيم- مكتبة السنة المحمدية.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القارئ- دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري –دار المعرفة بيروت.

- مسند أبي يعلى الموصلي للحافظ أحمد بن علي أبو يعلى -تحقيق حسين سليم اسد ط الأولى ١٤١٢ دار الثقافة العربية – بيروت- دمشق.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل – دار صادر بيروت.
- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله التبريزي -تحقيق الألباني- ط الثالثة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي.
- معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم -دار الكتب العلمية بيروت.
- مفردات ألفاظ القرآن – للراغب الأصفهاني- ط الأولى ١٤١٢ دار القلم- دمشق.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي – ط الأولى ١٤١٧ – دار ابن كثير دمشق.
- منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ط ١٤١٠ مكتبة المؤيد- الطائف.
- من روائع الأدب النبوي – موسى سلامة كامل الدقس – دار الشروق جدة.
- موارد الظمآن بزوائد ابن حبان للحافظ نور الدين الهيثمي تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة – دار الكتب العلمية.
- موطأ الأمام مالك للإمام مالك بن أنس – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – عيسى البابي الحلبي وأولاده.
- النهاية في غريب الحديث والأثر -لابن الأثير الجزري تحقيق طاهر أحمد ومحمود الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت.
- وحي القلم -مصطفى صادق الرافعي -دار الكتاب العربي – بيروت.